مسائل الإيمان الكبرى

المحاضرة الثانية

((سبيلُ الهدى))

((اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيكُم مِّن رَّبِّكُمْ

وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ))

✍ كتبه

حسين عبد الرازق

قد ذكرتُ أني أحببتُ أن أقدم للطالب قبل كل محاضرة نصيحة أو وصية، وهذه هي (النصيحة الثانية)

العنايةُ بالقرآن وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وآثار الصحابة وتراث الأئمة

فهذا أعظم ما يتكوّن به طالب العلم إيمانيا ومعرفيا ومهاريا وخُلُقيًا

لا أعلمُ أحدًا بدءَ بدراسة الوحي وبيانه من سُنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهدي صحابته الكرام وتراث الأئمة وصار عنده قاعدة متينة من محكمات الشريعة (تصوّرًا وجمعا ودراسة وتحريرا وتقريرا) ثم خرج بهذا الرصيد المتين

فدرسَ قضايا الفِرق والملل والنّحل =إلا وينبُل ويحسُن علمُه وعقلُه وتتكون لديه ملكات ومهارات ويكون تناولُه لأي مسألة (شرعيةً كانت أو فِكرية) تناولَ باحث ناقد بصير. ونتائجُه يظهر عليه حُسن النظر والبيان وقوة الحُجّة

وفي المقابل : فإني والله لا أعلم أحدًا ممن كانت بدايةُ ثقافتهم العلومَ الفكرية والإنسانية أو الفِرق والملل والنّحل ثم انتقلوا بها ومنها إلى علوم الشريعة =إلا ويظهر فيهم ألوانٌ شتى من الحَيرة والتخبّط وضعف النظر وضعف الاستدلال

ولا يَسلمون من رواسب علِقت فيهم من دراستهم لعلومٍ لم تُرو بماء الوحي ولم تشرق عليها شمس النبوة مع ضعف في البيان والحُجة وتقلُّب وتشتت، مع نوع استعلاء وتِيه لبس فقط على من لم يسلك سبيلهم، بل على نصوص الوحي وتراث الأئمة..

فضلا عن نتائج كارثية يصلون إليها في أبواب الشريعة وفقه الحياة، وردٍّ لأحاديث ثابتة مُحكمة بيّنة، وتحريف لمعاني آيات بأهوائهم وعقولهم، وغير ذلك من أبواب الضلال، والله إني لأُشفق عليهم وأرجو لهم الخير

و عن كثير من الشباب الذين أدخلوا أنفسهم في بحر المِلل والأديان والفكر والفلسفة والفِرق

وليس عندهم قاعدة قوية من العلم بدينهم ومُحكماته وأصوله، ولا عندهم مهارات البحث والقراءة ولا ملكة نقديةٌ.. وأكثرهم دخل ذلك تقليدا ودفعا لتُهمة قلة الثقافة وتشبّعا بما لم يُعطه من المعرفة

❁ **أقول**:

لو كانت دراسة الفكر والفلسفة والفرق الملل محمودةً = فإن ذلك في سياق أن تكون طريقا للبصيرة بالباطل وكشفه و إبطاله والتحذير منه، وهداية أهله ومُداواتهم. وكأحد طرق العلم بالحق والتمسّك به

مع الاهتداء بالوحي و مُحكماته وتفاصيله كأصلٍ للهُدى ومعرفة الحق

كما في قول أحد أفاضل _بل هو أفضلُهم مَن دخلوا في تلك الأبواب، واعتنوا بمعرفتها (ابن تيمية رحمه الله) :

[فإنّ معرفةَ المرض وسببِه يُعينُ على مداوته، ومَن لم يعرفْ أسباب المقالات - وإن كانت باطلةً- لم يتمكّن من مداوة أصحابها وإزالة شبهاتهم]

وقوله: ((ونحن - ولله الحمد - قد تبين لنا بيانًا لا يحتمل النقيض:

فسادُ الحجج المعروفة للفلاسفة والجهمية والقدرية ونحوهم التي يعارضون بها كتاب الله

وعَلمْنا بالعقل الصريح فسادَ أعظم ما يعتمدون عليه من ذلك

وهذا - ولله الحمد - مما زادنا اللهُ به هدى وإيمانا، فإن فساد المعارِض= مما يؤيد معرفةَ الحق ويقويه، وكلُّ من كان أعرف بفساد الباطل =كان أعرف بصحة الحق

ويُروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال: ((إنما تنقَضُ عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية)). وهذا حال كثير ممن نشأ في عافية الإسلام وما عرف ما يعارضه ليتبين له فساده= فإن لا يكون في قلبه من تعظيم الإسلام مثل ما في قلب من عرف الضدين)). انتهى

لا أن يُقبِل مَن ليسوا على علمٍ مفصّل بالحق و محكمات الشريعة (تقليدا لغيرهم) فخورين بها وباقتناء نُسخها النادرة ،و هم ليس لهم حظٌ من علوم الشريعة ،بل ليس لهم حظٌ من القرآن لا علما وحفظا ،بل ولا قراءة ولا عندهم أدنى أدوات النظر والنقد !!!

كُل شيء لا يُوضع في سياقه المناسب = يكون شرّه أكثر من خيره، ولا يُؤتي ثمرته المرجوة منه

أقول ذلك في وقت أعلمُ فيه كثيرا من الشباب الضعفاء جدا في علوم الشريعة والوحي ،بل ولا يتزوّدون منها، ويجهلون فرائض في الإيمان و العبادة ! = يستنفذون أوقاتهم فيما يضرّهم ولا ينفعهم من تلك العلوم الفكريّة وفي الدخول في دقائقها و مشكلاتها من باب المُوضة ..

<u>نصيحتي لكل مسلم مُحب للثقافة</u>: لا تقفز، ولا تتجاوز مراحل علمية هي أساس لما تريد

لا تُقلّد أحدا في آخر ما وصل إليه، وعلى فرض أنه أعجبك= فاسلك الطريق من أوّله لا من آخره!

۞ **وأقول**: تأسيس المسلم وبناؤه (إيمانيًا وخُلقيًا ومعرفيًا) من أخص واجبات الدعوة إلى الله وهو الأصلُ الذي يُجمَعُ معه غيرُه ويُضاف عليه

وقد غُفِل عنه كثيرا جدا هذه الأيام بسبب الاهتمام المبالَغ فيه (أحيانا) من الدعاة والباحثين وطلاب العلم بالرد على الشبهات وكشف الاعتراضات ونقض الإلحاد والعالمانية ونحوها

لذلك أحببتُك التنبيه

۞ - **كلمة أخيرة لطالب الهدى:**

الله ـ هو (ربّ الناس) و(إله الناس) و(ملك الناس).

• من المشاريع الناقصة:

نقضُ الإلحاد بمجرد العمل على إقامة الحُجج على وجود الله تعالى! أو إثبات عام للرَسل والوحي والإسلام

دون بيان أسمائه وحكمته وخلقه وأمره وأن له الحُكم والأمر

والرسل والوحي وما فيه من أخبار وأحكام

ووجوب اتباع الرسول ﷺ والاحتكام إليه وغير ذلك من محكمات الإسلام وتفاصيله

وهذا القصور موجود للأسف موجود في مشاريع تعمل منذ سنوات ويُرصد له أموال ومنصّات

وهي تقف على عتبة الإسلام فقط

يجعل الملحد ينتقل من كُفر إلى إسلام مُجمل لا يعرف محكماته ولا بيناته ولا أحكامه ولا يعرف عن الرب سوى أنه موجود صانع قوي قدير.. ونحو ذلك، ولا يعرف عن الله ما يجعله يُحبه ويطمئن قلبه به ولحُكمه ويطيع أمره ويثق بوعده ويصبر على قدَره وغير ذلك

مثلُ رجل كان نصرانيَا ثم أسلم، فقال عن بعض المُناظرين المسلمين الذي كانوا ينقضون النصرانية:

فلانٌ المُناظر استطاع أن يُكرّهني في النصرانية ويثبت تناقضها وتحريفَ الإنجيل

لكنه فشل - أو لم يسعَ أصلا - لإثبات صحة الإسلام وصدق نبوة النبي محمد ﷺ، وبيان حق الله على عباده في الإسلام ومحاسن شريعة الإسلام.. وغير ذلك

۞ - **لذلك فأقول بكل صراحة**: إن كثيرا من الأفراد العاملين في مجال نقض الإلحاد أو النصرانية أو المذاهب العالمانية أو نحوها عندهم ضعف كبير بمحكمات الإسلام علما وحُججًا وبيانا واستدلالا وكثير منهم فهمُه عن الإسلام مُجمَلٌ ، بل هو يعرف مجموعة الإشكالات والشبهات والجزئيات ، دون روابط أو قواعد جامعة ، مع تقصير في القيام بها أساسا فضلا عن أن يدعو إليها ، كثير منهم ليس عنده خُطة أو خطوات شاملة لبيان الإسلام ، بل غايتهم الوقوف على عتبته.. فقط

✍ **وأقول**: إن كثيرا ممن يشهدون ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله يعيشون إلحاداً عمليَا

يعني هي مجرد كلمة تُقال، لا يعلمون معانيها ولا حدودها ولا يعملون بها

فالذي يجب أن تعلمه: أن تعطيل معاني (الإله) هذا أيضا إلحاد وكفر

فالذي يؤمن بربّ خالق قدير عليم

ولا يؤمن بإلهٍ معبود له الحكم والأمر وتجب طاعته = فهو ملحد أيضا

بل هذا هو الكفر الذي جاء المرسلون جميعا لنقضه وبيان حق الله على عباده

- **فتكثيف الجهود في مجرد إثبات الرب تعالى أو الرسالة أو الوحي إجمالا دون بيان المُحكمات والتفاصيل**

= هذا مشروع لا يستحق ما يُبذل له وفيه

حتى انشغل أصحابُه به..

انشغلوا عن بيان الإسلام وأحكامه وحق الله على عباده للمسلمين

- فأضاعوا رأس المال، ولم يحصلوا على رِبح يُذكر

بل كثير من المناظرات بينهم وبين مُلحدين سفلة مُعاندين

فيها ترويج لهم، وتحولت لنوع من السخرية

فلا فيها بيان للحق، ولا ردٌّ للباطل

يتوه فيها المسلم ولا يدري ما مقاصدُها، غير أنه يفرح بها ويراها مادة مُسلية يريد أن يعرف من المنتصر

ولتفاصيل أكثر عن المشروع المتكامل وتكامل الجهود أقول:

هذه كلمات أرجو أنها مهمة لكل من يسعى لنصرة الإسلام في أي مجال..

كلمة عن نهضةٍ ملحوظة من طلاب العلم وأهل الخير في اتّجاه: نقد/نقض المِلل الباطلة والمذاهب الفكرية الضالة، ورد الشبهات ودفع الإشكالات:

أقول: جهودٌ عظيمة ومنظمة وبجودة عالية من شباب وأساتذة في مجال نقد/نقض الإلحاد والعالمانية والليبرالية ونحوها من مذاهب فكرية باطلة، وهداية الشباب لصدق الإسلام والثبات على الإيمان ونحو ذلك من الأسئلة الكبرى (المبدأ/ الغاية/المصير)

ولكن: يجب في خط موازٍ الاعتناءَ بتأسيس المؤمن ببيان مُحكماتٌ الشريعة وأحكام الإسلام وأخلاقه وآدابه، وبيان أبواب الإيمان والأحكام (عبادات ومعاملات) وتفاصيلها.. والدعوة إلى الطاعات والعمل الصالح ونحو ذلك ، لابد من الاعتناء بذلك..

بل لابد أن تُعطى المساحة الأكبر من الاهتمام، وتكون الأصلَ، والغايةَ التي تبقى وتستمر ثم يُضم معها غيرُها من المقاصد التي تُحددها الحاجةُ ويفرضها الواقعُ الدعوي فتأخذُ وقتها المناسب ثم يُرجع مرة أخرى لإعطاء المساحة الأكبر للتأسيس الإيماني - والمعرفي والعلمي/ (الاستقامة على الشريعة)

فكثير من الجهود مؤخّرا واهتمامات الشباب والمؤسسات صارت تعمل في اتجاهين فقط:

❂ - الهجوم (بنقض المذاهب الباطلة).

❂ - الدفاع (رد الشبهات عن الإسلام ودفع الإشكالات عنه).

وهذه مع أهميتها والحاجة إليها = تبقى بمنزلة الدواء الذي قد يُحتاج إليه عند الحاجة وبقدر الحاجة.. لا أن يصير غذاءَ يتغذى عليه المسلم (مُثقفًا كان أو عاميًا أو طالب علم)!

بل يبقى الغذاء هو: تأسيس المسلم ببيان الوحي ومُحكماته: بأخباره وقصصه وأحكامه وأخلاقه وحُججه وبراهينه

المؤدي إلى استقامته عليه والعمل به

فخيرُ طريق لردّ الشبهات = بيانُ المُحكمات

وخيرُ طريق لدفع الإشكالات = بيانُ براهين الحق

وخير طريق للنهي عن المنكر = الأمر بالمعروف

وخير طريق لمقاومة الفواحش = نشرُ الطيبات ودعمها

وإلا سيبقى المسلم: يعرف عن الباطل ونقده ما يُبغّضُه فيه.. نعم

لكنه في ذات الوقت:

لا يعلم عن الإسلام الا خطوطا عريضة، ومعلومات عامة لا تكفي في التمسك به، ولا البقاء عليه، ولا الاستقامة عليه، بل يبقى صاحبَه مُعرضًا لشبهات جديدة، أو أفكار جديدة وافدة.. فليس عنده وقاية عامة من مثل ذلك

وقد ذكر بعضُ النصارى الذين كانوا يسمعُون بعض الشيوخ المسلمين الذين يُناظرون القساوسة وينتقدون النصرانية:

لقد استطاع الشيخُ (فلان) أن يُبغّض إلينا النصرانية.. نعم

لكنه لا عرّفنا على الإسلام، ولا على براهينه ولا على أحكام، ولا استطاع أن يُحبّبنا فيه...

✍ **لذلك أقولُ:**

لا يكون العلم بالإسلام والثبات عليه والاستقامة والوقاية العامة من الباطل: إلا بهذه الثلاثية الواردة عن مقاصد القرآن: ﴿هدى للناس وبينات من الهُدى والفرقان﴾

١- بيانُ الهدى للناس.

٢- إقامة البراهين على ذلك الهدى.

٣- الفرقان بين الهُدى والضلال.

وهذه المقاصد تتكامل ويدعمُ أحدها الآخر

✍ **ولذلك لابد:**

- أن تتكامل جهود أهل الإسلام ممن يطلبون نصْرَه.

- وأن يُعرف لكل جهود فضلها ودورها.

- ويتعاون أصحابُ كل اتجاه، ويتناصحون.

- ويحمدُ أحدهم الآخر ويعرف فضله.

- ويتكلم في دائرة معرفة ومجاله.

- ولا يقف ما ليس له به علم.

- ولا يستنكف أن يسأل أخاه عما أشكل عليه في مجاله أو في غيره.

- وألّا يكون شحيح النفس، بل يسعد بانضمام من يريد العمل معه في نفس المجال، ويقترب منه ويُفيده وينتفع منه.

- وألّا يتيه بعمله أو معارفه.

- وألا يحقر إخوانه العاملين في مجال آخر أو يُقلل من قيمة عملهم.

- فالمطالب الدينية الشرعية أعظم وأوسع من أن تُنغّص بالجسد وشُح النفس وحظوظِها.

وينبغي أن يكون الهدف/ نُصرةُ الإسلام = هدفا أعظم تتصاغر أمامه، بل تتلاشى أمامه كلُ أهداف (سواء أهداف شخصية أو حزب أو جماعة أو مؤسسة)

حينها سيبارك الله تعالى في جهودنا بتحقُق الأمرين المتلازمين:

«أقيموا الدين ولا تتفرّقوا فيه»

وإني واللهِ أسعى لأن يكون أعظم طريق للإصلاح وأمضى سلاح نواجه به أعداء الإسلام هو الوحي وما فيه من هدى

{ودّ الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم مَيلةً واحدة}.

فاللهم ربنا نقِ قلوبنا من أسباب التباغض والحسد وشُح النفس والهوى

وآتِ نفوسنا تقواها وزكّها أنت خيرُ من زكّاها

واجعل أعمارنا لك وللإسلام معرفةً وعملا وبيان ودعوةً وتعليمًا

واقبضنا إليك غير مفتونين

ولا تجعلنا ظهيرا للمجرمين

*****

عناصر المحاضرة الثانية:

سبيل الهدى (الوحي المُنزّل والقلبُ المُنيب المؤمن العاقل)

- **نِعمُ الله تبارك وتعالى على الإنسان**
- **حقُّ كلِّ نعمة**
- **سُبل العلم والهداية (السمع والأبصار والأفئدة)**
- **القلب**
- **فقر الإنسان إلى الله في كل شيء ومنه فقرُه إليه في الهداية**
- **أحق ما استعملت فيه السمع والأبصار والأفئدة: آيات الله في النفس والآفاق والوحي - سبيل الهدى في الوحي المنزّل والقلب المطمئن المؤمن**
- **نعمة الله (رسول من الله يتلوا صحفا مطهرة)**
- **الهداية بالقرآن بيان الهدى وبيناته والفرقان أسماء القرآن وحججه ونُذره**
- **الاعتصام به**
- **القرآن كشّاف العلوم**
- **بيّنات القرآن ونُذرُه**
- **سنّة رسول الله بيان القرآن**
- **خيرُ من فقِه القرآن والسنة علما وعملا صحابة النبي رضوان الله عليهم**
- **وصايا**

المقدمة

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٤) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ

إن الله تعالى في بيان منّته علينا قال عز وجل: ((﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ (وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ)

❖ **ومن أجلّ نِعم الله علينا:** ما خلقه فينا مما نُحس به ونُدرك (القلبَ والعينُ واللسانُ والأذنُ واليدُ والرّجلُ) وغير ذلك

ولكلّ منها عمل وأهمّها عملا (القلب) وأعمالُه

فكما أن الله خلق للإنسان العينَ لترى، والأذنَ لتسمع، واليدَ للبطش والرّجلَ لتمشي واللسانَ لينطق والفمَ للذوق والأنفَ لتشمّ والجلدَ يلمس ويُحس= فقد خلق القلب ليعقلَ و يعلمَ ويتفكر ويتدبّر ((أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ))

والأعضاء الثلاثة التي هي أمهات ما يُنال به العلم السمع والبصر والفؤاد

قال الله عز وجل {وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}وقال الله عز وجل ((ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ))

((قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ) (وَجَعَلَ لَكُمُ السّمْعَ) تسمعون به (وَالأبْصَارَ) تبصرون بها(وَالأفْئِدَةَ) تعقلون بها(قَلِيلا مَا تَشْكُرُونَ) قليلا ما تشكرون ربكم على هذه النعم التي أنعمها عليكم.

فـ الإنسانُ مسئول عن نعم الله عامّة وعن هذه خاصّة {إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا} [الإسراء: ٣٦].

والعدلُ والحقَّ في كلِ عضو أن يُستعملَ فما خُلقَ له

فإذا عمل به الإنسانُ فيما خُلق له فذلك هو العدلُ والحق والخير لذاك العضو، وكان خيرا لصاحبِه وهُدى وفلاحا

وهذا هو شكر تلك النّعم، والله تعالى جعلها لنشكره عليها كما في قوله ((لعلكم تشكرون))، وشكرَها أنّ نعلمَ أنها نعمة، وأنها من الله، ونعملَ بها فيما خُلقت له فمن كان كذلك ف ((أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المُفلحون))

وإذا تُرِك العضوُ بطّالًا دون عملٍ فذلك خسرانٌ وصاحبَه مغبونٌ، وإذا استُعمل في خلاف حقّه فذلك هو الضلال وصاحبَه ظلَمه وظلمَ نفسه، وهو من الذين بدّلوا نعمة الله كفرا ﴿وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾

وقد ذكر الله أقواماً لم ينتفعوا بهذه النعم مُحذِّرًا من فعلهم قال تعالى: {وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا ٠ إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ}

وقال تعالى: ((وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ))

وإذا كان كذلك فإن أعظم هذه الأعضاء أثرا على الإنسان قلبَه

وفي حديث عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب))؛ متفق عليه

فالقلبُ : هو الذي يفقهُ ويعقلُ ويتدبّرَ ويُمتحَنُ وهو محل النظر والتفكر، والإيمان والكفر، والهداية والضلال، والصدق والكذب، والتصديق والتكذيب ، والعمى والمرض والشفاء، والثبات والتقلّب، والختْم، والزّيغ، والامتحان ، وكذلك الكسبُ والتعمّد، والإثم، والتطهيرُ ،و المعرفةُ والإنكار، وكذلك الحب والتآلُف، والبغض، والرضا والإباء، واللِّين والقسوة ،والتوكل والرجاء والخوف والرّعب، الفرح والحزن والسلامة والاطمئنان، والغيظ وغير ذلك

وباختصار فالقلبُ: مجمع الخير أو الشر في الإنسان وهو الباعث والمُحرّك، وهو الأصلُ، ولم يجعل الله تعالى لأحد من الخلق سلطانا على قلوب العباد ولا يُمكن إكراهُ أحد على ما في قلبه

ومن معاني قوله تعالى: ((لا إكراه في الدين)) أنه نفيٌ ونهي. نفي للإمكان بمعنى: لن تستطيع إكراه أحد على الإيمان لأن محله القلب ولا سلطان لك عليه، ونهي عن الإكراه المستطاع وهو إكراه الجوارح واللسان لأن الإكراه غيرُ ممكن على القلب، وهذا من حكمة الله تعالى ورحمته .

ولذلك فالقلبُ موضع نظر الله تعالى من العبد فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ((إن الله لا يَنظرَ إلى صورِكم وأموالكم، ولكن ينظرَ إلى قلوبكم وأعمالكم))

والقلبُ هو موضع التدبرَ والاعتبار والعقل والهداية والسمع والبصر أو ضدّها

قال تعالى : ((مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ))

وقال تعالى : ((أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا))

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال: سمعتُ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يقول: «تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ، عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ»

قال ابن القيم رحمه الله : (فشبه عرض الفتن على القلوب شيئاً فشيئاً كعرض عيدان الحصير ، وهي طاقاتها شيئاً فشيئاً ، وقسم القلوب عند عرضها عليها إلى قسمين : قلب إذا عرضت عليه فتنة أشربها ، كما يشرب السفنج الماء فتنكت فيه نكتة سوداء ، فلا يزال يشرب كل فتنة تعرض عليه حتى يسودّ وينتكس ، وهو معنى قوله " كالكوز مجخياً " أي مكبوباً منكوساً، فإذا اسود وانتكس **عرض له من هاتين الآفتين مرضان خطران متراميان به إلى الهلاك : أحدهما :** اشتباه المعروف عليه بالمنكر، فلا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً ، وربما استحكم عليه هذا المرض حتى يعتقد المعروف منكراً والمنكر معروفاً ، والسّنة بدعة والبدعة سنة ، والحق باطلاً والباطل حقاً ، **الثاني :** تحكيمه هواه على ما جاء به الرسول صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ، وانقياده للهوى واتباعه له .

وقلبٌ أبيض قد أشرق فيه نور الإيمان، وأزهر فيه مصباحُه، فإذا عرضت عليه الفتنة أنكرها وردها، فازداد نوره وإشراقه وقوته) انتهى كلامه رحمه الله

وإذا كان الحقُ والعدلُ في كل نعمة أن تستعمل فيما خُلقت له: فإنّ القلب خُلق ليطلب الهدى ويتفكّر ويعلم ويعمل

والحقُ والعدلُ له أن يُوجّهَ لأحقِّ ما يهتدي به وينتفع ويعلم به الحق والهدى والرشاد.

وكما أن الإقبال بالأُذُن على الكلام هو الاستماعُ والإصغاءُ، وانصرافَ الطرْف إلى الأشياء طلبا لرؤيتها هو النظر =فإن توجّهَ القلب على أمرٍ ما هو الفِكر والنّظر والاعتبارٌ،

وكما أ ن الناظر بعينه يطلبُ الرؤية والمُصْغي بأذنه يطلب السمع فإن توجه القلب يراد منه العلم

- الوقت الذي يصفو لك قليل جدا فلا تُهدره قولا أو عملا أو فكرا فيما لا ينفع

ولأن مبدأ الإرادة ثم العمل هو الفكر، فالإنسان لا يتحرك إلا فيم يفكّر

قال ابن القيم:

((قَاعِدَة جليلة : أصل الْخَيْرْ وَالشَّر من قبل التفكّر فَإِن الْفِكر مبدأ الْإِرَادَة، والطلبِ فِي الزّهْد وَالتّرْك وَالْحبِ والبغض، وأنفعُ الْفِكر: الْفِكرُ فِي مصَالح الْمعَاد وَفِي طرق اجتلابها وَفِي دفع مفاسد الْمعَاد وَفِي طرق اجتنابها فَهَذِهِ أَرْبَعَةُ أفكار هِيَ أجلّ الأفكار ويليها أَرْبَعَة فِكّر فِي مصَالح الدُّنْيَا وطرق تَحْصِيلهَا وفكّر فِي مفاسد الدُّنْيَا

وطرق الِاحْتِرَاز مِنْهَا، **فعلى هَذِه الْأَقْسَام الثَّمَانِية دارت أفكار الْعُقَلَاء**، وَرَأس الْقسم الأول الْفكر فِي آلَاء الله ونعمه وَأمره وَنَهْيه وطرق الْعلم بِهِ وبأسمائه وَصِفَاته من كِتَابه وَسنة نبيه وَمَا ولاهما، وَهَذَا الْفكر يُثمر لصَاحبه الْمحبَّة والمعرفة، فَإِذا فكر فِي الْآخِرَة وشرفها ودوامها وَفِي الدُّنْيَا وخستها وفنائها= أثمر لَهُ ذَلِك الرَّغْبَة فِي الْآخِرَة والزهد فِي الدُّنْيَا، وَكلما فكّر فِي قصر الأمل وضيق الْوَقْت أورثه ذَلِك الجدّ وَالِاجْتِهَاد وبذل الوسع فِي اغتنام الْوَقْت وَهَذِه الأفكار تُعلي همّته وتُحييها بعد مَوتهَا وسفولها، وتجعله فِي وَاد وَالنَّاس فِي وَاد.

_**وبإزاء هَذِه الأفكار الأفكارُ الرّديئَة** الَّتِي تجول فِي قُلُوب أَكثر هَذَا الْخلق كالفكر : فِيمَا لم يُكلف الْفكر فِيهِ وَلَا أعْطى الْإِحَاطَة بِهِ من فضول الْعلم الَّذِي لَا ينفع كالفكر فِي : كَيْفيّة ذَات الرب وَصِفَاته مِمَّا لَا سَبِيل للعقول إِلَى إِدْرَاكه وَمِنْهَا الْفكر فِي الصناعات الدقيقة الَّتِي لَا تَنْفَع بل تضر كالفكر فِي الشطرنج والموسيقى وأنواع الأشكال والتصاوير وَمِنْهَا الْفكر فِي الْعُلُوم الَّتِي لَو كَانَت صَحِيحَة لم يُعْط الْفكر فِيهَا النَّفس كمالا وَلَا شرفا كالفكر فِي دقائق الْمنطق وَالْعلم الرياضي والطبيعي وَأكْثر عُلُوم الفلاسفة الَّتِي لَو بلغ الْإِنْسَان غايتها لم يكمل بذلك وَلم يزك نَفسه وَمِنْهَا الْفكر فِي الشَّهَوَات

وَاللَّذَّات وطرق تَحْصِيلهَا وَهَذَا وَإِن كَانَ لنَفس فِيهِ لَذَّة لَكِن لَا عَاقِبَة لَهُ ومضرّته فِي عَاقِبَة الدُّنْيَا قبل الْآخِرَة أَضْعَاف مسرّته وَمِنْهَا الْفكر فِيمَا لم يكن لَو كَانَ كَيفَ كَانَ يكون كالفكر فِيمَا إِذا صَار ملكا أَو وجد كنزا أَو ملك ضَيْعَة مَاذَا يصنع وَكَيف يتصرّف وَيَأْخُذ وَيُعْطِي وينتقم وَنَحْو ذَلِك من أفكار السّفل وَمِنْهَا الْفكر فِي جزئيات أَحْوَال النَّاس وَمَا جراياتهم ومداخلهم ومخارجهم وتوابع ذَلِك من فكر النُّفُوس المبطلة الفارغة من الله وَرَسُوله وَالدَّار الْآخِرَة وَمِنْهَا الْفكر فِي دقائق الْحِيَل وَالْمَكْر الَّتِي يتَوَصَّل بهَا إِلَى أغراضه وهواه مُبَاحَة كَانَت أَو مُحرمَة وَمِنْهَا الْفكر فِي أَنْوَاع الشّعْر وصروفه وأفانينه فِي الْمَدْح والهجاء والغزل والمراثي وَنَحْوهَا فَإِنَّهُ يشغل الْإِنْسَان عَن الْفكر فِيمَا فِيهِ سعادته وحياته الدائمة وَمِنْهَا الْفكر فِي المقدرات الذهنية الَّتِي لَا وجود لَهَا فِي الْخَارِج وَلَا بِالنَّاسِ حَاجَة إِلَيْهَا الْبَتَّةَ وَذَلِكَ مَوْجُود فِي كل علم حَتَّى فِي علم الْفِقْه وَالْأُصُول والطب فَكل هَذِه الأفكار مضرّتها أرجح من مَنْفَعَتهَا ويكتفي فِي مضرّتها شغلها عَن الْفكر فِيمَا هُوَ أولى بِهِ وَأَعُود عَلَيْهِ بالنفع عَاجلا وآجلا))

❖ (العين تنظر) و(الأذن تسمع) و(القلب يعقل ويتدبر)

العين تقصر عن القلبِ والأذنِ؛ فهي إنما تُرى بها الأشياء الحاضرة (العالمُ المُشاهد الحاضر) ، وأما القلبَ والأذنُ فيُعلم بهما المُغيّبات والأخبارُ وما لا مجال للبصر به،

لذلك يُجمع بينهما ولا تذكر العين (أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها او آذان يسمعون بها (وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ..) (أم تحسب ان أكثرهم يسمعون او يعقلون عن هم إلا كالأنعام بل هم اضل سبيلا)

۞ - **وسائر الأعضاء حَجبَةٌ تُوصل إلى القلب ما تحملُ** فالعينُ تنقل ما ترى والأذنُ تنقل ما تسمع، والقلبَ هو الذي يعقل يتدبّرَ وينتفع ويستجيب، أو يَغفل و يُعرض ويعمى، فقد تقوم تلك الأعضاء بعملها ولكن القلبَ مُعطّلٌ عن الانتفاع بها كما قال ((إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ))

قال أبو جعفر الطبري: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: لا يكبُرنّ عليك إعراض هؤلاء المعرضين عنك، وعن الاستجابة لدعائك إذا دعوتهم إلى توحيد ربّهم والإقرار بنبوّتك، فإنه لا يستجيب لدعائك إلى ما تدعوه إليه من ذلك، إلا الذين فتح الله أسماعهم للإصغاء إلى الحق، وسهّل لهم اتباع الرّشد، دون من ختم الله على سمعه، فلا يفقه من دعائك إياه إلى الله وإلى اتباع الحق إلا ما تفقه الأنعامُ من أصوات رُعاتها، فهم كما وصفهم به الله تعالى ذكره: ((صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ))

" والموتى يبعثهم الله " يقول: والكفارُ يبعثهم الله مع الموتى، فجعلهم تعالى ذكره في عداد الموتى الذين لا يسمعون صوتًا، ولا يعقلون دعاءَ ، ولا يفقهون قولا إذ كانوا لا يتدبرون حُجج الله، ولا يعتبرون آياته، ولا يتذكرون فينـزجرون عما هم عليه من تكذيب رُسل الله وخلافهم. انتهى

(وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ (٤٢) وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ (٤٣) إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ)) وقال عزوجل (فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ (٥٢) وَمَا أَنْتَ بِهَادِ الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ) (وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ)

قال الطبري : ولو علم الله في هؤلاء القائلين خيراً، لأسمعهم مواعظ القرآن وعبَره، حتى يعقلوا عن الله عز وجل حججه منه، ولكنه قد علم أنه لا خير فيهم، وأنهم ممن كتب لهم الشقاء فهم لا يؤمنون. ولو أفهمهم ذلك حتى يعلموا ويفهموا، لتولوا عن الله وعن رسوله، وهم معرضون عن الإيمان بما دلّهم على صحته مواعظُ الله وعبره وحججه، معاندون للحق بعد العلم به.

وقال تعالى : ((وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ)) ((إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ (٩٦) وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ)) ((وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا ۚ)) ومثل قوله عن الكفار ((صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ)) وهو أحدث المعاني لقول الله ((وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا ۖ وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ) يعني المشركين ينظرون ولا يُبصرون، والقول الثاني : قل للمشركين: وإن تدعوا، أيها المشركون، آلهتكم إلى الهدى وهو الاستقامة إلى السداد (لا يسمعوا)، يقول: لا يسمعوا دعاءكم (وتراهم

ينظرون إليك وهم لا يبصرون). وهذا خطاب من الله نبيّه صلى الله عليه وسلم. يقول: وترى، يا محمد، آلهتهم ينظرون إليك وهم لا يُبصرون .

((وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ))

((أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ)) (فإنها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب) ((أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها)) ((فأعرِض عمن تولى عن ذكرنا)) ((أغفلنا قلبه عن ذكرنا))، ((عمّا أنذروا معرضون)) ((صم بكم عمي فهم لا يعقلون)) ((وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ))

- **فلم ينفعه سمعه ولا بصره ولا قلبه لذلك قال:** ((أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ)) فإنّ أشدّ العمى عمى القلب، فإنَّه سبحانه لمّا دعاهم إلى التفكّر والتعبير وسمع أخبار مَن مضى من الأمم، وكيف أهلكهم الله تعالى بتكذيبهم رسله ومخالفتهم أمره، فقال تعالى: {أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا} [الحج:٤٦].

إنَّه ذكر محل العمى الذي هو أولى باسم العمى من عمى البصر، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ليس الشديد بالصّرَعة، إنما الشديدُ الذي يملك نفسه عند الغضب»، أي: هذا أولى بأنْ يكون شديدًا منه.

وقوله: « ليس المسكين بهذا الطوّاف الذي تردّه اللقمة واللقمتان، إنَّما المسكين الذي لا يجد ما يغنيه، ولا يُفطَن له فيتصدَّق عليه» ، أي: هذا أولى باسم المسكين من الذي تسمّونه أنتم مسكينًا، ونظائر ذلك كثيرة.

أي: فعمى القلب هو أشدّ العمى، لا عمى البصر، فأعمى القلب أولى أنْ يكون أعمى من أعمى العين، فنبّه سبحانه بـ قوله: {الَّتِي فِي الصُّدُورِ}، على أنَّ العمى هو العمى الباطن في العضو الذي محلّه الصدر، لا العمى الظاهر في العضو الذي محلّه الوجه. وقال ((ما تُغني الآياتُ والنذر عن قوم لا يؤمنون))

والتعبير بالأقفال والأكنّة والطبع والختم، وسد منافذ الهداية على القلب، كلُ ذلك يشعرنا بأن القلب هو الذي يفتح أبوابه لسماع الحق أو يغلقها وهو يُطبع عليه فلا يصغى إلى الحق، أو تغشاه الغواشي من حب الدنيا، والإقبال على الشهوات فلا يستجيب لداعى الإيمان.

وفي الوحي الربطُ بين صمم الآذان وعماية الأبصار وإقفال القلوب، وكأن ذلك يحدث في وقت واحد مما يؤكد الصلة بين الحواس وبين القلب، فإذا رجعنا إلى الحديث عن العقل وجدنا الظاهرةَ نفسها حيث يأتي الصمم والبكم والعماية مع نفى صفة العقل، وهذا يؤكد ارتباط العقلِ بالقلب، وارتباطَ الاثنين معا بالحواس فإمّا هي مغلقة، وإما هي مفتوحة على الحق والنور والهداية. قال تعالى:

((إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ)) وقال تعالى {الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي}

الطبع والختم والقفل والغل والسد والغشاوة والحائل بين الكافر وبين الإيمان وأن ذلك عقوبة

قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ} وقال تعالى: {أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلا تَذَكَّرُونَ} وقال تعالى: {وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ} وقال: {كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ} وقال: {وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ} وقال: {أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا} وقال: {لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلالًا فَهِيَ إِلَى الأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ}وهذا جزاء لأعمالهم كما في قوله تعالى ((وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠٩) وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١١٠) وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ)) قال تعالى: {كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} وقال: {بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ} وقال: {فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ} وقال: {فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ} ((وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا ۚ صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ)) فإنه سبحانه جعل ذلك عقوبة لهم وجزاء على كفرهم وأعراضهم عن الحق بعد أن عرفوه فإنه سبحانه يعاقب على الضلال الذي يفعل العبد بإضلال بعده، ويثيب على الهدى بهدى بعده كما يعاقب على السيئة بسيئة مثلها ويثيب على الحسنة بحسنة مثلها وقال تعالى: {وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ} وقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ} وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّر} ومن الفرقان الهدى الذي يفرق به بين الحق والباطل وقال في ضد ذلك: {فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا} وقال: {فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا} وقال: {ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ} وهذا الذي ذهب إليه هؤلاء حق والقرآن دل عليه وهو موجب العدل والله سبحانه ماض في العبد حكمه عدل في عبده قضاؤه فإنه إذا دعا عبده إلى معرفته ومحبته وذكره وشكره فأبَى العبد إلا إعراضا وكفرا قضى عليه بأن أغفل قلبه عن ذكره وصده عن الإيمان به وحال بين قلبه وبين قبول الهدى وذلك عدل منه فيه وتكون عقوبته بالختم والطبع والصد عن الإيمان كعقوبته له بذلك في الآخرة مع دخول النار كما قال: {كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ} فحجابه عنهم إضلال لهم وصد عن رؤيته وكمال

معرفته كما عاقب قلوبهم في هذه الدار بصدها عن الإيمان وكذلك عقوبته لهم بصدهم عن السجود له يوم القيامة مع الساجدين هو جزاء امتناعهم من السجود له في الدنيا وكذلك عماهم عن الهدى في الآخرة عقوبة لهم على عماهم في الدنيا ولكن أسباب هذه الجرايم في الدنيا كانت مقدورة لهم واقعة باختيارهم وإرادتهم وفعلهم فإذا وقعت عقوبات لم تكن مقدورة بل قضاء جار عليهم ماض عدل فيهم وقال تعالى: {وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا} ومن هاهنا ينفتح للعبد باب واسع عظيم النفع جدا في قضاء الله المعصية والكفر والفسوق على العبد وأن ذلك محض عدل فيه .وتأمل قول النبي صلى الله عليه وسلم: «ماض في حكمك عدل في قضاؤك» كيف ذكر العبد في القضاء مع الحكم النافذ . ولهذا قال هود عليه الصلاة والسلام لقومه: {إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}

هذا القول العظيم من رسول الله هود عليه السلام من أجلّ الكلمات الجامعة عن الله تبارك وتعالى، وأجمعُ ما فيها: ما ختمَ به بيانَه

فإنه بدأ ببيان توكّله على ربّه وسبب توكله ببيان عموم القدرة والملك والتدبير والقهر ثم قال (إن ربي على صراط مستقيم) فهو سبحانه مع قدرته عز وجل

لا يفعل ولا يقضي ولا يحكمُ بمجرد المشيئة بل هو سبحانه على صراط مستقيم، وضعْ تحت هذه الكلمة كلَّ معنى عظيم (الحق والعدل والحكمة والرحمة ..) وغيرها

فكما أنّه سبحانه لك المُلك، فله الحمدُ

فعلى هذا القول الأول يكون المراد أنه في تصرفه في ملكه يتصرف بالعدل ومجازاة المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته ولا يظلم مثقال ذرة ولا يعاقب أحدا بما لم يجنه ولا يهضمه ثواب ما عمله ولا يحمل عليه ذنب غيره ولا يأخذ أحدا بجريرة أحد ولا يكلف نفسا ما لا تطيقه فيكون من باب له الملك وله الحمد ومن باب ماض في حكمك عدل في قضاؤك ومن باب الحمد لله رب العالمين أي كما أنه رب العالمين المتصرف فيهم بقدرته ومشيئته فهو المحمود على هذا التصرف وله الحمد على جميعه

من هنا تفهم لماذا يُقرن بين بعض أسماء الله وأفعاله

وهذا نوعُ شريف من بيان كمال الله تعالى وأنّ له المثلَ الأعلى والأسماء الحُسنى

وتعلمُ أن أجلّ علمٍ عن الله هو ما قالتْه الرّسلُ في حقه

لذلك بعد ما ذكر ما افتراه الكذّابون في حقه كما في سورة الصافات ((سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٨٠) وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (١٨١) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)) فتدبّر هذا فإنه نافع إن شاء الله

وعلى قول بعض المفسرين : فيها بيان ملك الله وقدرته في قوله: {هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا} ثم أتبعه بقوله: {إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} فذكر الصراط المستقيم وهو يعني به الطريق الذي لا يكون لأحد مسلكٌ إلا عليه كما قال:

{إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ} وعلى هذا القول :المراد به التهديد والوعيد وأن مصير العباد إليه وطريقهم عليه لا يفوته منهم أحد وقيل ذلك أيضا في قوله: {وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ} على إحدى القولين في الآية وقال مجاهد: الحق يرجع إلى الله وعليه طريقه، ومنها أي ومن السبيل ما هو جائر عن الحق ولو شاء لهداكم أجمعين فأخبر عن عموم مشيئته وأن طريق الحق عليه موصلة إليه فمن سلكها فإليه يصل ومن عدل عنها فإنه يضل عنه.

والمقصود أن هذه الآيات تتضمن عدل الرب تعالى وتوحيده والله يتصرف في خلقه بملكه وحمده وعدله وإحسانه فهو على صراط مستقيم في قوله وفعله وشرعه وقدره وثوابه وعقابه يقول الحق ويفعل العدل: {وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ} فهذا العدل والتوحيد الذين دل عليهما القرآن لا يختلفان

فقر الإنسان إلى الله في كل شيء وأعظمُه فقرُه إليه في الهداية

(يا أيها النّاس أنتم الفقراء إلى الله)

((قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ))

ومعنى إسلام الوجه إلى الله أن تعلم أنه ربّك وخالقك وإلهك ومولاك وهو على كل شيء قدير وله الخلق والأمر وأعلم بك وأرحم به ويريد بك الخير وبيان الهدى

لذلك فالإنسان فقيرٌ إلى قدرته وإعانته وتوفيقه وعلمه وهدايته وهو معنى حديث

((اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تعلم ولا أعلم، وتقدر ولا أقدر، وأنت علام الغيوب)) ومعنى حديث ((اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْ تُضِلَّنِي، أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ)) البخاري ومسلم))

و فقر الإنسان إلى الله في كل شيء ومنه فقرَه إليه في الهداية

((إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ))

قال الله للنبي محمد صلى الله عليه وسلم ((أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ * وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ))

و قال الله تعالى لنبيّه محمّد صلى الله عليه وسلم : ((وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ)) ((وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا)) وأمره ((قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي ۖ وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي ۚ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ)) وكان يقول في دعائه سبحانه : ((اللهمّ لولا أنتَ ما اهتدَينا ولا تصدَّقنا ولا صَلينا ....))

إبراهيم عليه السلام النبيَّ، الرسول، الخليلُ ، الحنيفُ ،الصالح ، القانتُ، الأُمّةُ، الكريمُ قال ((لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ))

وقال ((وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ * رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ))

و قالها النبي الكريم شعيبُ عليه السلام : ((وما توفيقي إلا بالله))

و الكريم يوسف عليه السلام : ((وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ))

فالتوفيق للهداية و الثباتُ عليها هو من الله تعالى ((مَن يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ))

وفي أم القرآن

((الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ *مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ))

((رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ * رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ))

ومن دعاء المؤمنين:

((رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ))

وَعَنْ عَبْدِاللهِ بنِ عمرو بن العاصِ رضيَ الله عنهُمَا، قَالَ: قَال رَسُولُ الله ﷺ: ((اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ القُلُوبِ صرِّفْ قُلوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ)) رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وعن عليٍّ رضي الله عنه قال: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((قُلْ: اللَّهُمَّ اهْدِنِي وَسَدِّدْنِي))

القرآن هو هدى الله المُنزّل

فقد أنزل الله تعالى على نبيه محمد ﷺ هذا الكتاب؛ هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، وهو النور الذي يُبصَر به الحق، قال تعالى: ﴿ أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

قال الله ﷻ: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤]، وقال: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥، ١٦]، وقال: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ * قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٧، ٥٨]، وقال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢].

✍ - **وأمر سبحانه بالإيمان بهذا القرآن**، كما قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ﴾ [النساء: ١٣٦]، وقال تعالى: ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ [الأنعام: ٩٢].

✍ - **وأمر بتلاوته وتدبره وفهمه**، كما قال ﷻ: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٩١) وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ﴾ [النمل: ٩١، ٩٢]، وقال: ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩].

وقال: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، وقال: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧].

✍ - **وأمر باتباعه والعمل به**، كما قال سبحانه: ﴿ كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (٢) اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٢، ٣]، وقال تعالى: ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥]، وقال ﷻ: ﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ [طه: ١١٣].

وأثنى على أهله، فقال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ (٢٩) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٢٩، ٣٠].

✍ - **وحذر سبحانه من الإعراض عنه وتوعد** ، فقال: ﴿وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا (٩٩) مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا (١٠٠) خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا﴾ [طه: ٩٩ - ١٠١]، وقال: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى (١٢٦) وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾ [طه: ١٢٤، ١٢٧].

أجل ما يُسمَع ويُبصَر ويُعقَل ويُتدبّر

۞ **وقد جاء في القرآن ذكر أجلّ ما يُسمع ويُبصَر ويُعقَل ويُتدبّر**

۞ وذكر ما الذي يهتدي به الإنسان

۞ -(ما الذي ينظر إليه وما الذي يسمعه ويُقبل عليه ليهتدي)

۞ -ثم استعداده للانتفاع بما يسمع ويرى

۞ وما الذي يحجزه عن الانتفاع بما يسمع ويرى؟

فخيرُ ما يهتدي به الإنسان أن يُوجه سمعه وبصره وقلبه لما أمره الله بأن يوجهه إليه، وقد بيّن سبحانه أن توجيه النظر والسمع والقلب إلى ما أمر به هو سبيل الهداية، وأن الغفلة عنه أو الإعراضَ عنه سبيل الضلال

فالعينُ أعظم ما تُوجه إليه (آياتُ الله في الآفاق والنفس وعاقبة المؤمنين والمجرمين) والأذنُ (تسمع القرآن، ونُذر الله وأمثال القرآن وقصصه)(والقلب يعقل ذلك ويتدبره ويتفكر فيه ويهتدي ويعمل)

((فَلْيَنْظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِه))

((فَلْيَنْظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ))

((قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ

أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (٢٠) فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ (٢١) لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ)) وقال تعالى ((وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُواْ إِلِى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ))

((اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (٤٨) وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ (٤٩) فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ))

(أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)

۞ والنظر في عاقبة المتقين والمفسدين والمُكذبين والمجرمين وبدء الخلق

(فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ

(قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ)

قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ)

(قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ ﴿٤٢ الروم﴾

(وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ)

أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ (٨) أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٩) ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ)

۞ والإنصات إلى القرآن واستماعه وتلاوته وتدبره وفقهه

(وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْلَمُونَ)

والمعنى: وإن استأمنك، يا محمد، من المشركين، الذين أمرتَ بقتالهم وقتلهم أحدٌ ليسمع كلام الله منك وهو القرآن فأمّنه حتى يسمع كلام الله وتتلوه عليه ثم رُدَّه بعد سماعه كلام الله إن هو أبَى أن يسلم، ولم يتعظ لما تلوته عليه من كلام الله فيؤمن " إلى مأمنه "، يقول: إلى حيث يأمن منك وممن في طاعتك، حتى يلحق بداره وقومه من المشركين (ذلك بأنهم قوم لا يعلمون)، يقول: تفعل ذلك بهم، من إعطائك إياهم الأمان ليسمعوا القرآن، وردِّك إياهم إذا أبوا الإسلام إلى مأمنهم، من أجل أنهم قوم جهلة لا يفقهون عن الله حجة، ولا يعلمون ما لهم بالإيمان بالله لو آمنوا، وما عليهم من الوِزْر والإثم بتركهم الإيمان بالله.

وهذا معنى عظيم في الدعوة إلى الله بتلاوة القرآن وبيانه

وقال تعالى ((لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ))

أعظمُ ما أشرقتْ عليه شمسُ الدُّنيا : هذه الثُّنائية المُباركة، التي هي خلاصةُ خير الدّنيا والآخرة، وأعظم مِنّة، وفاتحةُ كلّ خيرٍ : ((رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً))

رسولُ الله ﷺ وكتابُ الله الذي أُنزل معه

وأعظمُ الناس هدايةً وعقلًا، وأحسنُهم عملا مَن طلبَ هدْيَ رسولَ الله وكتاب الله

كما أنَّ الأخسرين أعمالا هم مَن عاشوا دُنياهم بغيرِ هدي رسول الله وكتاب الله

فالقرآن هو أعظم علم وهو دليلُك لأشرف العلوم وهو الكشّاف الذي به تعرف منازل العلوم والمطالب والأعمال والأخلاق

فمن أراد العلم والمعرفة فليطلب كتاب الله فهو خير دليل على أشرف العلوم وهو بيانها وبيناتها وفرقانها

فإن أعظم ما ينبغي أن تطلبه النفس هو العلم بربه ووحيه وما خُلق له ..وأعظم ما يُشتغل به أن يسعى للقيام بحق الله تعالى عليه والناس مراتب واعلاهم من علم بالله وأضلهم من عمي عنه

قال تعالى: {أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ} [الرعد: ١٩]

وقال تعالى: {قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ} [الزمر: ٩]وقال تعالى: {وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا} [طه: ١١٤].

وقال النَّبِيّ ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ» متفق عليه.

وقال النَّبِيّ ﷺ : «وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ

فرسول الله صلى الله عليه وسلم بما معه من الوحي أعظم بينة وأجل نعمة

وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا

إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٩١) وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ

(رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)

كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ

(وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا)

لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ

((لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ

رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً

فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ))

((فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا (١٠) رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا))

((هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ))

((وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا))

(وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ)

وكما أن الرسولَ الهاديَ إلى سبيل الله يُسمع الناس القرآن ويتلوه عليهم فإن الصادين عن سبيل الله ينهون عن سماعه

لذلك فإن الصادين عن الهدى إما بافتراء الكذب عليه بأنه قول مُعلَّم مجنون أو قول البشر أو سحر قول كاهن أو أساطير الأولين أو بالنهي عن سماعه أو (لا تسمعوا لهذا القرآن..) (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ)

القول في تأويل قوله تعالى : وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ)

الصادون عن سبيل الله قالوا لأتباعهم وتواصوا فيما بينهم لا تسمعوا لقارئ هذا القرآن إذا قرأه، ولا تُصغوا له، ولا تتبعوا ما فيه فتعملوا به. لا تتبعوا هذا القرآن والهوا عنه. الغطوا بالباطل من القول إذا سمعتم قارئه يقرؤه كَيما لا تسمعوه، ولا تفهموا ما فيه.

(وَالْغَوْا فِيهِ) قال: بالمكاء والتصفير والتخليط في المنطق على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ

: أي اجحدوا به وأنكروه وعادوه، تحدثوا وصيحوا كيما لا تسمعوه.

وقوله: (لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ) يقول: لعلكم بفعلكم ذلك تصدون من أراد استماعه عن استماعه، فلا يسمعه، وإذا لم يسمعه ولم يفهمه لم يتبعه، فتغلبون بذلك من فعلكم محمدا.

يعني هم يصبرون أنفسهم على الباطل والكفر ويتواصون بعد السماع حتى لا يغيروا ما هم عليه وحتى لا يتفكر فيه غيرهم من أتباعهم لئلا يقبله ويؤمن به

والمعنى: وقال كُبراء المشركين لأتباعهم: لا تسمعوا لهذا القرآن الذي يقرأه محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه، ولا تنصتوا إليه، بل ابتعدوا عن قارئيه، والغوا فيه؛ أي: وأظهروا عند قراءته أصواتكم باللغو من القول، كالتشويش على القارئ، والتخليط عليه في قراءته بالتصفيق وبرفع الصوت بالخرافات والهذيان، لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ؛ أي: لعلكم بعملكم هذا تتغلبون على المسلمين، وتجعلونهم ينصرفون عن قراءة القرآن. ولا شك أن قولهم هذا دليلٌ واضح على خوفهم من تأثير القرآن في القلوب، هذا التأثير الذي حمل كثيراً منهم عند سماعه على الدخول في الإسلام، ونبذ الكفر والكافرين، كما يدل على أنهم لعجزهم عن معارضته، وعن الإتيان بسورة من مثله، لجئوا إلى تلك السّبل، لصرف الناس عن سماع القرآن الكريم. قال تعالى ﴿ فَلَنُذِيقَنَّ الذِينَ كَفَرُوا عَذاباً شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الذي كانُوا يَعْمَلُونَ ﴾:

((وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ ۖ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ))

وهؤلاء المشركون ينهون الناس عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم والاستماع إليه، ويبتعدون بأنفسهم عنه، ((وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ))

ومما يبيّن سلطان القرآن على سامعه هذا الحديث عن عائشة رضي الله عنها ((فَلَمَّا ابْتُلِيَ المُسْلِمُونَ، خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ مُهَاجِرًا قِبَلَ الحَبَشَةِ، حتَّى إذَا بَلَغَ بَرْكَ الغِمَادِ لَقِيَهُ ابنُ الدَّغِنَةِ، وَهو سَيِّدُ القَارَةِ، فَقالَ: أَيْنَ تُرِيدُ يا أَبَا بَكْرٍ؟ فَقالَ أَبُو بَكْرٍ: أَخْرَجَنِي قَوْمِي، فأنَا أُرِيدُ أَنْ أَسِيحَ في الأرْضِ، فأعْبُدَ رَبِّي، قالَ ابنُ الدَّغِنَةِ: إنَّ مِثْلَكَ لا يَخْرُجُ وَلَا يُخْرَجُ، فإنَّكَ تَكْسِبُ المَعْدُومَ، وتَصِلُ الرَّحِمَ، وتَحْمِلُ الكَلَّ، وتَقْرِي الضَّيْفَ، وتُعِينُ علَى نَوَائِبِ الحَقِّ، وأَنَا لكَ جَارٌ، فَارْجِعْ فَاعْبُدْ رَبَّكَ ببِلَادِكَ، فَارْتَحَلَ ابنُ الدَّغِنَةِ، فَرَجَعَ مع أَبِي بَكْرٍ، فَطَافَ في أَشْرَافِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ، فَقالَ لهمْ: إنَّ أَبَا بَكْرٍ لا يَخْرُجُ مِثْلُهُ وَلَا يُخْرَجُ، أَتُخْرِجُونَ رَجُلًا يُكْسِبُ المَعْدُومَ، وَيَصِلُ الرَّحِمَ، وَيَحْمِلُ الكَلَّ، وَيَقْرِي الضَّيْفَ، وَيُعِينُ علَى نَوَائِبِ الحَقِّ، فأنْفَذَتْ قُرَيْشٌ جِوَارَ ابْنِ الدَّغِنَةِ، وَآمَنُوا أَبَا بَكْرٍ، وَقالوا لِابْنِ الدَّغِنَةِ: مُرْ أَبَا بَكْرٍ، فَلْيَعْبُدْ رَبَّهُ في دَارِهِ، فَلْيُصَلِّ، وَلْيَقْرَأْ ما شَاءَ، وَلَا يُؤْذِينَا بذلكَ، وَلَا يَسْتَعْلِنْ به، فإنَّا قدْ خَشِينَا أَنْ يَفْتِنَ أَبْنَاءَنَا وَنِسَاءَنَا، قالَ ذلكَ ابنُ الدَّغِنَةِ لأبِي بَكْرٍ، فَطَفِقَ أَبُو بَكْرٍ يَعْبُدُ رَبَّهُ في دَارِهِ، وَلَا يَسْتَعْلِنُ بالصَّلَاةِ، وَلَا القِرَاءَةِ في غيرِ دَارِهِ، ثُمَّ بَدَا لأبِي بَكْرٍ، فَابْتَنَى مَسْجِدًا بفِنَاءِ دَارِهِ وبَرَزَ، فَكانَ يُصَلِّي فيه، ويَقْرَأُ القُرْآنَ، فَيَتَقَصَّفُ عليه نِسَاءُ المُشْرِكِينَ وَأَبْنَاؤُهُمْ، يَعْجَبُونَ وَيَنْظُرُونَ إلَيْهِ، وكانَ أَبُو بَكْرٍ رَجُلًا بَكَّاءً، لا يَمْلِكُ دَمْعَهُ حِينَ يَقْرَأُ القُرْآنَ، فأفْزَعَ ذلكَ أَشْرَافَ قُرَيْشٍ مِنَ المُشْرِكِينَ، فأرْسَلُوا إلى ابْنِ الدَّغِنَةِ، فَقَدِمَ عليهم فَقالوا له: إنَّا كُنَّا أَجَرْنَا أَبَا بَكْرٍ علَى أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ في دَارِهِ، وإنَّه جَاوَزَ ذلكَ، فَابْتَنَى مَسْجِدًا بفِنَاءِ دَارِهِ، وَأَعْلَنَ الصَّلَاةَ وَالقِرَاءَةَ، وَقَدْ خَشِينَا أَنْ يَفْتِنَ أَبْنَاءَنَا وَنِسَاءَنَا، فَأْتِهِ، فإنْ أَحَبَّ أَنْ يَقْتَصِرَ علَى أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ في دَارِهِ فَعَلَ، وإنْ أَبَى إلَّا أَنْ يُعْلِنَ ذلكَ، فَسَلْهُ أَنْ يَرُدَّ إلَيْكَ ذِمَّتَكَ، فإنَّا كَرِهْنَا أَنْ نُخْفِرَكَ، وَلَسْنَا مُقِرِّينَ لأبِي بَكْرٍ الاسْتِعْلَانَ، قالَتْ عَائِشَةُ: فأتَى ابنُ الدَّغِنَةِ أَبَا بَكْرٍ، فَقالَ: قدْ عَلِمْتَ الذي عَقَدْتُ لكَ عليه، فَإِمَّا أَنْ تَقْتَصِرَ علَى ذلكَ، وإمَّا أَنْ تَرُدَّ إلَيَّ ذِمَّتِي، فإنِّي لا أُحِبُّ أَنْ تَسْمعَ العَرَبُ، أَنِّي أُخْفِرْتُ في رَجُلٍ عَقَدْتُ له، قالَ أَبُو بَكْرٍ: إنِّي أَرُدُّ إلَيْكَ جِوَارَكَ، وَأَرْضَى بجِوَارِ اللَّهِ))

وقد جاء في رواية أخرجها ابن إسحاق - رحمه الله - أن الوليد بن المغيرة اجتمع إليه نفر من قريش وكان ذا سِنٍّ، فيهم، وقد حضر الموسم فقال: يا معشر قريش إنه قد حضر هذا الموسم وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا، فأجمعوا فيه رأيًا واحدًا ولا تختلفوا فيكذّب بعضكم بعضًا ويرد قولكم بعضه بعضًا. فقالوا: فأنت يا أبا عبد شمس فقل وأقم لنا فيه رأيًا نقول به، فقال: بل أنتم فقولوا أسمع.

فقالوا: نقول: كاهن، فقال: ما هو بكاهن، لقد رأينا الكهان فما هو بزمزمة الكاهن ولا سجعه.

فقالوا: فنقول: مجنون، فقال: ما هو بمجنون، ولقد رأينا الجنون وعرفناه فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته.

قالوا: فنقول شاعر، قال: ما هو بشاعر، لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه فما هو بالشعر.

قالوا: فنقول ساحر، قال: فما هو بساحر، لقد رأينا السحار وسحرهم فما هو بنفثهم ولا عقدهم.

قالوا: ما تقول يا أبا عبد شمس؟ قال: والله إن لقوله طلاوة وإن أصله لَعَذق، وإن فرعه لجناة، وما أنتم بقائلين من هذا شيئًا إلا عُرف أنه باطل، وإن أقرب القول لأن تقولوا ساحر جاء بقول هو سحر يفرق بين المرء وأبيه وبين المرء وأخيه وبين المرء وزوجته وبين المرء وعشيرته، فتفرقوا عنه بذلك، فجعلوا يجلسون بسُبَل الناس حين قدموا الموسم لا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه وذكروا لهم أمره.

فأنزل الله - عز وجل - في الوليد بن المغيرة وفي ذلك من قوله

(ذَرني وَمَن خَلَقتُ وَحيداً) (١١)(وَجَعَلتُ لَهُ مَالاً مّمدُوداً) (١٢)(وَبَنِينَ شُهُوداً) (١٣)(وَمَهَّدتٌّ لَهُ تَمهِيداً) (١٤)(ثُمَّ يَطمَعُ أَن أَزِيدَ) (١٥)(كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيداً) (١٦)(سَأُرهِقُهُ صَعُوداً) (١٧)(إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ) (١٨)(فَقُتِلَ كَيفَ قَدَّرَ) (١٩)(ثُمَّ قُتِلَ كَيفَ قَدَّرَ) (٢٠)(ثُمَّ نَظَرَ) (٢١)(ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ) (٢٢)(ثُمَّ أَدبَرَ وَاستَكبَرَ) (٢٣)(فَقَالَ إِن هَذَا إِلَّا سِحرٌ يُؤثَرُ) (٢٤)(إِن هَذَا إِلَّا قَولُ البَشَرِ) (٢٥)(سَأُصلِيهِ سَقَرَ) (٢٦)(وَمَا أَدرَاكَ مَا سَقَرُ) (٢٧)(لَا تُبقِي وَلَا تَذَرُ) (٢٨)(لَوّاحَةٌ لِّلبَشَرِ) (٢٩)(عَلَيهَا تِسعَةَ عَشَرَ) (٣٠)[سورة المدثر]

قال ابن إسحاق: وأنزل الله - عز وجل - في النفر الذين كانوا معه يصنِّفون له القول في رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وفيما جاء به من عند الله (كَمَا أَنزَلنَا عَلَى المُقتَسِمِينَ) (الَّذِينَ جَعَلُوا القُرآنَ عِضِينَ)(فَوَرَبِّكَ لَنَسأَلَنَّهُم أَجمَعِينَ)(عَمَّا كَانُوا يَعمَلُونَ)

قال ابن إسحاق: فجعل أولئك النفر يقولون ذلك في رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لمن لقوا من الناس، وصدرت العرب من ذلك الموسم بأمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فانتشر ذكره في بلاد العرب كلها...

قلتُ: كما يفعل المشركون في كل عصر التدبير لصرف المسلمين عن سبيل الهدى/ القرآن إما بالتشكيك في كونه منزلا من الله أو بتحريف معانيه أو بإنكار سنة رسول الله التي هي بيانه أو بالطعن في صحابته وهم نقلتُه والعاملون به والمفسرون له قولا وعملا

لأن للقرآن سلطانا وحجة على القلب الطيب فيؤمن وعلى الجاحد فيعلم أنه الحق وإن كان لن ينتفع به لكنه يوقن أنه حق كما حصل للوليد بن المغيرة

۞ **وكما أن من نهى عن سماع القرآن واتباعه هو شرّ الناس فإن من أمر باستماعه واتباعه ونشره وبيّنه ودعا إليه هو خير الناس وأحسنهم قولا ((ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا)) .**

فمن وجّه قلبه وسمعه وبصره في تلك الجهة فقد قصد الخير ، ولا يبقى له سوى أن يُطهّر قلبه لينتفع مما يرى ويسمع

فهنا عندنا الوحي المُنزّل على رسول الله والقلب الطيب المؤمن السليم المُبصِر

عَنْ أَبِي موسى قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِنَّ مَثَل مَا بعثني اللهُ بِهِ منَ الْهُدَى والْعلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضاً فكَانَتْ طَائفَةٌ طَيبَةٌ، قبِلَت الْماءَ فأَنْبَتت الْكلأَ والْعُشْبَ الْكَثِير، وَكَانَ منْهَا أَجَادِبُ أَمسكَت الماءَ، فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاس فَشَرِبُوا منْهَا وسَقَوْا وَزَرعوا. وأَصابَ طَائفَةٌ منْهَا أُخرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعانٌ لا تُمْسِكُ مَاءً وَلا تُنْبِتُ كَلأً فَذَلكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينَ اللهِ، وَنفعَه بِمَا بعثَنِي اللهُ بِهِ، فَعلِم وعلَّم، وَمثلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذلكَ رَأْساً وَلَمْ يقْبَلْ هُدَى اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ متفقٌ عَلَيهِ.

والذي جاء به من الهدى والعلم هو القرآن

عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم حَدِيثَيْنِ قَدْ رَأَيْتُ أَحَدَهُمَا، وَأَنَا أَنْتَظِرُ الآخَرَ. حَدَّثَنَا «أَنَّ الأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ. ثُمَّ نَزَلَ الْقُرْآنُ. فَعَلِمُوا مِنَ الْقُرْآنِ وَعَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ....»

وأعظم ما يتوجه القلب إليه (الوحي) وأعظم ما استمعت إليه الأذن القرآن بما فيه من الأخبار والشرائع والاحكام وأعظم ما نظرت إليه العين (آيات الله) في الآفاق والنفس

والذي يؤتى الحكمة وينتفع بالعلم على منزلتين:

في قوله: (إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد)

إنسان رأى الحق بنفسه فقبِله وعمل به ولم يحتَج من يدعوه إليه فذلك صاحب القلب

أو رجل لم يعقله بنفسه لكنه مُريد له طالبَه فهو محتاج إلى من يُعلّمه ويُبيّنه له فهذا هو من ألقى السمع وهو شهيد أي: حاضر القلب ليس بغائبه

بخلاف من قال الله فيهم: ((وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ))((وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُواْ لاَ يَعْقِلُونَ، وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُواْ لاَ يُبْصِرُونَ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ)) فقد ظلموها وظلموا أنفسهم حيث غفلوا عن موضع رشدهم فهم الظالمون والمظلومون

فهذا كان أخص ما يعلمه القلب هو الحق فإن الله هو الحق المبين

أحق ما يعلمه القلب الله، وأحق ما طلبه القلب فقه الوحي

القرآنُ دليلُك إلى خير العلوم وأهمِّها

❖ **فالقرآن هو أعظم علم وهو دليلُك لأشرف العلوم وهو الكشّاف الذي به تعرف منازل العلوم والمطالب والأعمال والأخلاق والأقوال**

فمن أراد العلم والمعرفة فليطلب كتاب الله فهو خير دليل على أشرف العلوم وهو بيانها وبيناتها وفرقانها

❖ وأحبّ أن أقدّم بالتذكير بأمور أساسية:

أعظم حق يُتمسّك به هو القرآن

((وَالَّذِيْنَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحمَّد وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ))

ولن يهتدي إنسان ويطمئن قلبه في هذه الأرض إلا بقدر اهتدائه بهذا الكتاب فهو الهدى والنور والفرقان والنذير والبشرى وهو الآيات البينات والبصائر (قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها)

آيات الله في الوحي وخلقه والنبوة سُميت : ((آيات)) كما في حديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ مِنْ نَبِيٍّ إِلاَّ قَدْ أُعْطِيَ مِنَ الآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحياً أَوْحَى اللهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعاً يَوْمَ الْقِيَامَةِ". ((سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ)) و((حُججا)) ((قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ وويعني بـ" البالغة "، أنها تبلغ مراده في ثبوتها على مَنْ احتج بها عليه من خلقه، وقطع عُذْره إذا انتهت إليه فيما جُعلت حجة فيه و((علما)) ((قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ)) فسمّى ما دون العلم خرصًا وظنًا وهوى.

((هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ ۚ)) و((براهين)).. وعن آيتي موسى ((فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَ مَلَئِهِ)) العصا واليد آيتان. تبيانان من ربك إلى فرعون وأشراف قومه، حجة عليهم، ودلالة على صدق نبوّتك يا موسى ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا)) ((وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ)) البرهان هو الحجة كما في قول النبي صلى الله عليه وسلم: (والصدقة برهان أي حجة على صدق إيمان صاحبها يوم القيامة) ، و((سلطانا)) ((أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ (٣٥)) وفي قوله

((أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ)) يقول: ببينة أعذره بها، وهو مثل قوله: ((الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ)) أي: بغير بينة. .و ((بصائر)) ((قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا))

والبصائر : الحُجج الظاهرة جاءتكم من عند الله

((وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَن كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ ۚ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا))

وإنما عنى بالمُبصرة: المضيئة البيّنة التي من يراها كانوا أهل بصر بها، أنها لله حجة، كما قيل: ((هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا))

لم يعتبروا بها

وقال الله ((قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ))

" فمن أبصر فلنفسه " يقول: فمن تبين حجج الله وعرفها وأقرّ بها، وآمن بما دلّته عليه من توحيد الله وتصديق رسوله وما جاء به، فإنما أصاب حظ نفسه، ولنفسه عمل، وإياها بَغَى الخير" ومن عمي فعليها "، يقول: ومن لم يستدلّ بها، ولم يصدق بما دلَّته عليه من الإيمان بالله ورسوله وتنـزيله، ولكنه عمي عن دلالتها التي تدل عليها، يقول: فنفسَه ضر، وإليها أساء لا إلى غيرها .

و ((بينات)) ((لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ)) ومنه قول موسى عليه السلام ((حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لَّا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ))

وفي بيان ما أنزل له الوحي

((شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ۚ))

ومنه: ((قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ)) حُجة قاطعة على صدقي.

((سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ ۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ))

الحُجة الظاهرة

وإن أعظم طريق للعلم بالهدى وبراهينه والفرقان بينه وبين الباطل هو القرآن ولا يكون برهان على إثبات حقٍ أو رد باطل في أمر من أمور دينه إلا ويكون في القرآن حُجتُه على أتم وجه وأحسن بيان

❖ **فمن أخص مقاصد مثل هذه الدروس** أن نتعلم كيف عرض القرآن الحق والهدى وأقام عليه البينات والحُجج، وكيف عرضَ المقالات الباطلة وذكر حجج أصحابها ودوافعهم وكيف ردّها، وكشف الباطل، فلا يوجد باطل إلى يوم الدين إلا وأصله مذكور في القرآن مع نقضه

وأن تعلم أنه: ما من حق في أي مسألة تخص الإسلام إلى وفي كتاب الله البرهان على سبيل الهدى فيها، وأن المسائل الكبرى التأسيسية في الدين (مبدأ الخلق والخالق سبحانه وأسمائه وحكمته ورسله ووحيه وشرعه وقدره واليوم الآخر) وتفاصيل ذلك فقد جاءت أعظم براهينه في الوحي

وأن تعلم أن أصول المقالات الباطلة في الدين مذكورة في القرآن مع نقضها بأعظم حجة (سواء في ذلك جحد الخالق أو إنكار حكمته أو إنكار رسالته ووحيه او اتخاذ شريك معه أو نسبة اتخاذ الولد أو الاحتجاج بالقدر على ترك شرعه أو تشريع ما لم يأذن به أو إنكار الآخرة) أو غير ذلك

وكذلك من أراد نقض أي باطل في قضايا الدين ولم ينطلق من الوحي ولم يُرد الخلاف إليه فردَّه إما باطل أو ناقص وما في القرآن من الحجة والبيان أعظم منه بلا مقارنة ((وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا))

- **والمعنى :** ولا يأتيك يا محمد هؤلاء المشركون بمثل يضربونه إلا جئناك من الحق بما نبطل به ما جاءوا به وأحسن منه تفسيراً. وبيانا وتفصيلا وكشفا وحجة وضربا للأمثال وغير ذلك من البيان

قال ابن كثير رحمه الله ((ولا يأتونك بمثل أي : بحجة وشبهة إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا، أي : ولا يقولون قولا يعارضون به الحق ، إلا أجبناهم بما هو الحق في نفس الأمر ، وأبين وأوضح وأفصح من مقالتهم))

ولا يُفلح من طلب الهدى من غيره ولا طلب براهين الهدى أو رد الباطل من غيره

(او لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم)

وهو من معاني قوله تعالى ((اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي))

وكل من ابتدع مسألة منسوبة للدين ولا أصل لها في القرآن فهو مُحدِث في الدين بدعة

كما أن من ابتدع حُجة على مسألة دينية وأصلها ليس في القرآن فهو مُحدِث

والقرآنُ كاف في (المسائل وبيان الهدى فيها والحجج على الحق وردّ الباطل)

- **كما أن من أعظم الخطأ هو ظنُّ كثير ممن تكلموا عن القرآن حيث ظنوا أنه مجرد أخبار ليس فيه أدلة عقلية، ونشأ عن ذلك نوعان من الخطأ:**

- - قسم علموا ضرورة البراهين العقلية على أمور الإيمان الكبرى فلما ظنوا أن القرآن مجرد خبر طلبوا الأدلة العقلية من غير القرآن (أيًا كان مصدرهم) وسمّوا القرآن (سمعيات-خبراً-نقلا) ونحو ذلك
- - قسم قـ بلوا القرآن وتمسّكوا به لكنهم لم يُبصروا حجج الله فيه التي يمكن أن تسمى (حججا عقلية)

- **وأساس الغلط هنا أمران:**

- - جهلهم موضع الدلالة العقلية في آيات القرآن

- ثم إن القرآن هو آيةُ النبي صلى الله عليه وسلم لمكذبين له مفترين فيجب أن يكون حجة عليهم ليس من جهة تصديق المُخبِر وإلا لأمكنهم أن يقولوا: نحن نكذبك

فلابد أن يقيم حججا وبينات تثبت أنه رسول من الله ثم على تفاصيل الرسالة من (أن الله هو الرب الواحد والإله الحق ونقض الشرك وادعاء الولد له وتشريع ما لم يأذن به الله وإنكار البعث) وغير ذلك، وهذه الحجج لابد أن تكون عقلية

وفي حديثه عمّن طلبوا على الحق ادلة من غير القرآن قال ابن تيمية : ((وهم لم يتعلموا ما جاءت به الأنبياءَ ولم يأخذوا عنهم الدلائل والاصول والبينات والبراهين، وإذا وجب أن يؤخذ عن الانبياء ما أخبروا به من أصول الدين ومن تصديق خبرهم مع وجود ما يُعارضه فلأن يؤخذ عنهم ما بينوا به تلك العقائد من الآيات والبراهين أولى وأحرى؛ فإنه بهذا يتبين ذاك وإلا فتصديق الخبر متوقفٌ على دليل صحته أو على صدق المُخبر به، وتصديقُه بدون أن يعلم أنه في نفسه حق أو أن المخبر به صادق= قول بلا علم، والرسول صلوات الله عليه وسلامه قد أرسل بالبينات والهدى بيَّن الأحكامَ الخبرية والطلبية وأدلتها الدالةّ عليها، بيَّن المسائل والوسائل، بيّن الدينَ: ما يُقال وما يُعمل، وبيّن أصوله التي بها يُعلم أنه دينٌ حقٌ، وهذا المعنى قد ذكره الله تعالى في غير موضع، وبيّن أنه أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليَظهره على الدين كله، ذكر هذا في سورة التوبة والفتح والصف، والهدى هو: هدى الخلق إلى الحق وتعريفُهم ذلك وإرشادهم إليه، وهذا لا يكون إلا بذكر الأدلة والآيات الدالة على أن هذا هدى، وإلا فمجردُ خبرٍ لم يُعلم أنه حقٌ ولم يقُم دليلٌ على أنه حق ليس بهدى، وهو سبحانه إذا ذكر الأنبياء نبِيَنا وغيرَه ذكر أنه أرسلهم بالآيات البينات وهي الأدلة والبراهين البيّنة المعلومةُ علما يقينيا، إذ كان كلُ دليل لا بد أن ينتهي إلى مقدمات بينة بنفسها قد تسمى بديهيات وقد تسمى ضروريات وقد تسمى أوليات وقد يقال هي معلومة بأنف سها فالرسل صلوات الله عليهم بُعثوا بالآيات البينات، وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ما من نبي من الأنبياء إلا وقد أوتي من الآيات ما آمن على مثله البشر وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله الي فأرجو أن أكون اكثرهم تابعا يوم القيامة)) النبوات

فأسعد الناس حظا من القرآن: من تمسّك به في الهدى وبيّناته وردّ الباطل، وعلم ما به من موضع الحُجة

لذلك قال الله : ((وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا (٥٠) وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا (٥١) فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا)) وأمره : ((فاستمسك بالذي أوحي إليك إنك على صراط مستقيم)) وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٤٧) فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ (٤٨) قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٤٩) فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ

اللهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥٠) وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٥١) الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ (٥٢) وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ))

وبراهين الوحي تجمع بين جهتي القبول :

- البرهان والحجة والبيّنة

- والموعظةُ والتذكير والإنذار والإخبار بالمخوف والوعد والوعيد والنُّذُر والبشرى (كالحديث عن الله ورحمته وإرادته للهدى والتوبة عن عباده، والحديث عن الجنة والنار والتذكير بالأمم السابقة وعاقبتهم، والتذكير بنعمة الله والأمر بشكرها والنهي عن الكفر بها) وغير ذلك

قال الله سبحانه ((وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ)) قولُه: ((ومثلا من الذين خلوا من قبلكم)) أي : خبرا عن الأمم الماضية ، وما حلَّ بهم في مخالفتهم أوامر الله تعالى ، كما قال تعالى عن قوم فرعون : (فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين)

(وموعظة) أي: زاجرا عن ارتكاب المآثم والمحارم (للمتقين) أي: لمن اتقى الله وخافه.

وقال تعالى ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ))

فالوحيَ يخاطب في الإنسان كلَ معنى يُعتبر به فهو: تذكيرٌ للناسي، وتنبيه للغافل، وتطهيرٌ للفطرة وإصلاح لفسادَها، وهو شفاء لما في الصدور فيَزيحُ عن قلبه موانع الهدى: في الجانب العملي (الجهل والريب والشك) والجانب العملي مثل (الشرك والرياء والحسد والشهوة وحب الدنيا والافتقار لغير الله والتوكل على غير الله..) نحو ذلك مما يصرف الإنسان عن العمل بما عرف من الحق

قال ابن تيمية رحمه الله ((. والمقصود هنا أن الرسول بين للناس الأدلة والبراهين الدالة على أصول الدين كلها كما قد ذكر سبحانه هذا في مواضع كقوله (إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله) وقوله (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان) ومن ذلك قوله تعالى (لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين) وقد وصف الرسولَ بذلك في مواضع فذكر هذا في البقرة في دعوة إبراهيم، وفي قوله تعالى (كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة) وفي قوله (واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به) وهنا لم يذكر يتلو عليهم آياته ويزكيهم لحكمة تختص بذلك وذكر هذا في آل عمران في قوله ((لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة)) وقد قال ((واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة))وهذا شبه الموضع الثالث في البقرة فأخبر في غير موضع عن الرسول أنه يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، فالتلاوة والتزكية عامة لجميع المؤمنين

فتلاوة الآيات يحصل بها العلم فإن الآيات هي العلامات والدلالات فإذا سمعوها دلتهم على المطلوب من تصديق الرسول فيما أخبر والإقرار بوجوب طاعته وأما التزكية فهي تحصل بطاعته فيما يأمرهم به من عبادة الله وحده وطاعته فالتزكية تكون بطاعة مرة كما أن تلاوة آياته يحصل بها العلم وسميت آيات القرآن آيات وقيل: إنها آيات الله كقوله (تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق) لأنها علامات ودلالات على الله، وعلى ما أراد فهي تدل على ما أخبر به وعلى ما أمر به ونهى عنه وتدل أيضا على أن الرسول صادق إذ كانت مما لا يستطيع الإنس والجن أن يأتوا بمثلها وقد تحداهم بذلك كما قد بسط هذا في غير هذا الموضع وأيضا فهي نفسها فيها من بينات الأدلة والبراهين ما يبين الحق فهي آيات من وجوه متعددة ثم قال ويعلمهم الكتاب والحكمة وهذا لمن يعلم ذلك منهم وقد يتعلم الشخص منهم بعض الكتاب والحكمة فالكتاب هو الكلام المنزل الذي يُكتب، والحكمة هي السنة وهي معرفة الدين والعمل به، وقد قال تعالى (وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون) وقال تعالى (واتخذوا آياتي وما أنذروا هزوا) ففرّق بين الآيات الدالة على العلم التي يعلم بالعقل أنها دلائل للرب، وبين النذر: وهو الإخبار عن المخوف كإخبار الأنبياء بما يستحقه العصاة من العذاب فهذا يُعلم بالخبر والنذر ولهذا قال (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) وأما الآيات فتُعلم دلالتها بالعقل، والأنبياء جاءوا بالآيات والنذر وقال تعالى (وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي اليهم فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر) وقال تعالى (فإن كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاءوا بالبينات والزبر والكتاب المنير) انتهى

❖ **وخلاصة المعنى**: ((قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ)

فلا يكفر بتلك الآيات بعد علمه بها إلا المُبطلون الفاسقون الظالمون

لذلك بعد ذكر الله تعالى لآيات رُسله وبيانها قال الله لنبي محمد صلى الله عليه وسلم ((وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ))

((أي أنـزلنا إليك يا محمد علامات واضحات دالات على نبوتك وصدر رسالتك، وأعظمها تلك الآيات / القرآن وما فيه من براهين لكل من أرسلتَ إليهم، وما به من خفايا علوم اليهود ومكنون سرائر أخبارهم وأخبار أوائلهم من بني إسرائيل، والنبأ عما تضمنته كتبهم التي لم يكن يعلمها إلا أحبارُهم وعلماؤهم - وما حرّفه أوائلهم وأواخرهم وبدلوه، من أحكامهم التي كانت في التوراة. فأطلعها الله في القرآن، فكان في ذلك من أمره، الآيات البينات لمن أنصف نفسه، ولم يدعه إلى إهلاكها الحسدُ والبغيَ. إذ كان في فطرة كل ذي فطرة صحيحة، تصديق من أتى بمثل الذي أتى به محمد صلى الله عليه وسلم من الآيات البينات التي وصفت من غير تعلم تعلمه من بشر، ولا أخذ شيء منه عن آدمي.)) من تفسير الطبري بتصرف

وصدق الله ((تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ ۖ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ))

❁ **وهذا باب شريف عظيم وأنا مذ قصدتُ تعلّم القرآن وأنا أطلبُه منه وأحرص على جمع وجوهه ونظائره بابُ حُجج الوحي وآياتُه وبيّناته على الهدى والفرقان**

ولو تكلمتُ عنه بتفصيل لاحتجتُ إلى سلسلة محاضرات، ولكني أذكرُ جُملا منها أرجو أن تكون دالّةً على ما وراءها

❁ - **من المعاني التي تميّزت به حُجج الوحي وآياتُه العقليّة :**

- منهج الوحي في بيان الحق وبيناته وردّ الباطل هو نسقٌ متكامل مُحكم ((كتابٌ أُحكمت آياتُه)) **فهو يدلّ على حُجج تعلم بالحس والسمع والبصر، والقلب**

- ويدعو القلب للتفكر والعين للنظر والأذن للسمع، ويدعو للنظر في آيات الله في النفس والآفاق والوحي

كما في قوله (قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا) هذا من جهة

❁ - **والدعوة للنظر في المقالات المختلفة والنظر في حُججها للوصول إلى الحق**

قال تعالى: {قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ}[سبأ: ٢٤].

"وقوله: {وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ}، وهذا القول بعد إلقاء الحجة البينة ووضوح الحقّ في مسألة إخلاص الدين لله ، مبني على طلب الصدق وإرادة الحق، ومفادُه :أن كلّ قول إما هدى أو ضلال لا ثالث لهما نفياً وإثباتاً. ونحن وأنتم على قولين مختلفين لا يجتمعان، فإمّا أن نكون نحن على هدى وأنتم في ضلال، وإما أن تكونوا أنتم على هدى ونحن في ضلال، فانظروا بالإنصاف إلى ما ألقي إليكم من الحجة، وميزوا المهديّ من الضالّ، والمحق من المبطل.

و في تفسير القرطبي قال: "{وإنَّا أو إيّاكم لعلى هدى أو في ضلال مبين} هذا على وجه الإنصاف في الحجة؛ كما يقول القائل: أحدنا كاذب، وهو يعلم أنه صادق، وأن صاحبه كاذب. والمعنى: ما نحن وأنتم على أمر واحد، بل على أمرين متضادّين، وأحد الفريقين مهتد وهو نحن، والآخر ضالّ وهو أنتم... والمعنى: أنتم الضالون حين أشركتم بالذي يرزقكم من السموات والأرض. ...))

❁ - **ومن جهة أخرى : يأمر بإرادة الهدى، وترك موانع الحق** من حب الدنيا والاستكبار وما تهوى الأنفس قال الله ((قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ))

أن تقوموا لله بالنصيحة وترك الهوى.(مَثْنَى) يقوم الرجل منكم مع آخر فيتصادقان على المناظرة: هل علمتم بمحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم جنونًا قطّ؟ ثم ينفرد كل واحد منكم، فيتفكر ويعتبر فردًا هل كان ذلك به؟ فتعلموا حينئذ أنه نذير لكم.

وقوله ((يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الْأَسْرَىٰ إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)) وهي وإن نزلت في الأسرى لكنها أصل عام في قصد الحق والخير وحسن عاقبته،

- **ومن جهة ثالثة: يطلب بإقامة البراهين والحُجج على قوله:**

(سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ (١٤٨) قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ ۖ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (١٤٩) قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا ۖ فَإِن شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ ۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ)

(هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ ۚ)

(فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ (٢٩) أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ (٣٠) قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ (٣١) أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم بِهَٰذَا ۚ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ (٣٢) أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ (٣٣) فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ (٣٤) أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ (٣٦) أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ (٣٧) أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ۖ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٣٨) أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ (٣٩) أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ (٤٠) أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ (٤١) أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ (٤٢) أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ)

((وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ))

وغير ذلك كثير

وبيان أنّ القول الباطل لا حجة عليه فقال تعالى: "ما لهم بذلك من علم" ،وقال الرجل المؤمن "تدعونني لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم" ،

- **ومن جهة رابعة يُحثّ على اتباع الحق ويبين حسن عاقبته ويُحذر من الإعراض عنه**

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ)

۞ - **بيانُ ما الأمور المُمكنة في أمر ما ثم ردّ الباطل منها وإثبات الحق** ، كما في قوله تعالى: "أم خُلقوا من غير شيء أم هم الخالقون" ، فوجود الناس هل كان من شيء؟ أم كانوا هم الخالقين لأنفسهم؟ أم لهم ربٌ خالق بارئ فكما أنه الربّ فينبغي أن يكون الإله

وبعد ذكر مصير الأمم المُكذّبة وبيان أن مشركي قريش فعلوا مثل فعلهم قال تعالى ((أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ (٤٣) أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ (٤٤) سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ (٤٥) بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ))

۞ - **والوحي في بيان الهدى وحججه لا بد أن تكون حُجته عقلية** فإن كان المتلقي مؤمنا فبإيمانه يُصدّق ويهتدي، كما في حديث أبي هريرة ((صَلَّى رَسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، صَلَاةَ الصُّبْحِ، ثُمَّ أَقْبَلَ علَى النَّاسِ، فَقالَ: بيْنَا رَجُلٌ يَسُوقُ بَقَرَةً إذْ رَكِبَهَا فَضَرَبَهَا، فَقالَتْ: إنَّا لَمْ نُخْلَقْ لِهذا، إنَّما خُلِقْنَا لِلْحَرْثِ فَقالَ النَّاسُ: سُبْحَانَ اللهِ بَقَرَةٌ تَكَلَّمُ، فَقالَ: فإنِّي أُومِنُ بهذا، أنَا وأَبُو بَكْرٍ، وعُمَرُ، - وما هُما ثَمَّ - وبيْنَما رَجُلٌ في غَنَمِهِ إذْ عَدَا الذِّئْبُ، فَذَهَبَ منها بشَاةٍ، فَطَلَبَ حتَّى كَأنَّهُ اسْتَنْقَذَهَا منه، فَقالَ له الذِّئْبُ هذا: اسْتَنْقَذْتَهَا مِنِّي، فمَن لَهَا يَومَ السَّبُعِ، يَومَ لا رَاعِيَ لَهَا غيرِي فَقالَ النَّاسُ: سُبْحَانَ اللهِ ذِئْبٌ يَتَكَلَّمُ، قالَ: فإنِّي أُومِنُ بهذا أنَا وأَبُو بَكْرٍ وعُمَرُ، - وما هُما ثَمَّ -))

وإن كان كافرا غير مُصدّق فيقيمُ عليه الحُجة بما يُصدّق به ويُقرّ ليصل إلى ما يُنكره أو يُخالف فيه.

ومما جاء في ذلك : **الحجج العظيمة في بيان بطلان ما عُبد من دون الله من الأصنام أن يُبيّن نقصها ببيان كمال الخالق سبحانه** في مثل قول إبراهيم عليه السلام: ((إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ (٧٠) قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ (٧١) قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ (٧٢) أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ (٧٣) قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ (٧٤) قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ (٧٥) أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ (٧٦) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ (٧٧) الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (٨١) وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ))

وقوله تعالى:

((وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢) يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ۚ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ (١٣) إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ (١٤) ۞ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (١٥) إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (١٦) وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ)) ونحوه

وكذلك ببيان أن الإنسان المخلوق أكمل منها فهو أولا صانعها ، في مثل قول إبراهيم عليه السلام ((أتعبدون ما تنحتون))

ومن جهة أخرى فالأصنام أنقص فلها جوارح لا تعمل فكيف يعبد الإنسان ما هو أنقص منه قال تعالى :

(أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (١٩١) وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ (١٩٢) وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ (١٩٣) إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١٩٤) أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا ۖ أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ)) وفي قول الله عنها ((وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا ۖ وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ)

قل للمشركين: وإن تدعوا، أيها المشركون، آلهتكم إلى الهدى وهو الاستقامة إلى السداد (لا يسمعوا)، يقول: لا يسمعوا دعاءكم (وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون).

وترى، يا محمد، آلهتهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون

قال الطبري : ((فإن قال قائل: فما معنى قوله: (وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون) ؟ وهل يجوز أن يكون شيء ينظر إلى شيء ولا يراه؟

قيل: إن العرب تقول للشيء إذا قابل شيئًا أو حاذاه: " هو ينظر إلى كذا ... فمعنى الكلام: وترى، يا محمد، آلهة هؤلاء المشركين من عبدة الأوثان، يقابلونك ويحاذونك، وهم لا يبصرونك، لأنه لا أبصار لهم. وقيل: " وتراهم "، ولم يقل: " وتراها "، لأنها صور مصوّرة على صور بني آدم عليه السلام))

وسبق ذكر القول الثاني في معنى هذه الآية : أن المراد وترى المشركين ينظرون إليك وهم لا يبصرون

والمقصود : بيان أنّ الأصنام مخلوقة وهي مسخّرة من الله فكيف تعبدون من هو عبد مثلكم؟

وجاءت قراءة نُسبت إلى سعيد بن جبير رحمه الله تبين ذلك المعنى ((إنْ الذين تدعون من دون الله عبادا أمثالَكم)) يعني (ما الذين تدعون من دون الله عبادا أمثالَكم) هي أقل منكم حيث هي من صنعكم ولها جوارح من صنعكم لا تعمل فكيف تعبدون ما هو دونكم؟

ف(إنْ)) هنا هي التي تعمل ((ليس))

وأخذ منها بعض أهل اللغة قاعدة إعمال (إنْ) عمل (ليس) إذا دخلت على جملة اسمية .

وهي قاعدة مشتركة بين البصريين والكوفيين بناها الكسائي على قراءة سعيد بن جبير لقوله تعالى: ((إنِ الذين تدعون من دون الله عبادًا أمثالَكم)) بتخفيف (إن)، ونصب (عبادًا)، إذ دخلت (إن)على الجملة الاسمية (الذين تدعون...)، وقد وافقه عليها معظم الكوفيين وطائفة من البصريين.

وبين القراءتين تكامل

ولكن هذه القراءة ليست متواترة

ومن ذلك بيان بطلان ما عليه النصارى من اتخاذ المسيح إلهًا

قال الله تعالى {إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ۖ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ}. فالنصارى يؤمنون بأنّ الله خلق آدم من تراب دون أب ولا أم، فقال لهم الله، إنّ خلق عيسى من أم بدون أب، أهون وأيسر من خلق آدم بدون أم ولا أب. وإذا كان آدمُ عندكم ليس إلها بذلك فعيسى أولى منه ألا يكون إلها .

و قال الله تعالى (مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ۗ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ). فالنصارى يؤمنون بأنّ عيسى وأمه كانا يأكلان الطعام!.فالذي يأكل الطعام فقير محتاج إلى غيره، فمن كان هذا حاله فلا يكون إلها.

من أشرف وأمتع و أخصَر مناظرات الإسلام ،و على منهجيّتها بنى ابنُ تيميّة ردّه علي الرافضة في (منهاج السّنة)

=

مناظرة الباقلاني - رحمه الله - لملك النصارى

سأشرحُها لك :

مُلخّصها: أراد ملكُ النصارى استفزاز الباقلانيّ فقال: ماذا يقولُ النّاسُ عن زوجة نبيّكم ؟

يقصد الخبيثُ: أن الناس يتهمون أمّ المؤمنين (عائشة) رضي الله عنها بالزنا ..

فقال الباقلاني له: ثنتان من النساء اتُهِمتا بالزّنا :

الأولى: امرأةٌ ١-ليس لها زوج ،٢- أتَت بابنٍ تحملُه

(يقصدُ: الصّديقةَ مريم عليها السلامُ)

والثانية: امرأة ١- لها زوج ،٢-لم تأت بابنٍ تحمله .

(يقصدُ: عائشة رضي الله عنها)

قال الباقلانيّ :

فإن كانت الأولى - مع قوة الداعي(=يقصدُ: عدم الزوج)،و(وجود الشُّبهة (يقصدُ: الولد الذي كانت تحمله) فإن كانت مع ذلك بريئةً من التُّهمة =فتكون الثانية مع (عدم الداعي=وجود الزوج)،و عدمُ الشّبهة (لم تأت بابنٍ تحمله) هي أكثر براءة من الأولى...

فبَهِت الذي كفر..

قلتُ: ولو تتبع طالبَ العلم طرائق الوحي في بيان الحق والهدى وردّ الباطل والضلال لخرج بمادّة عظيمة في ذلك

❁ ومن المعاني التي جاءت في حُسن حُجج القرآن وصدقها :

- أنها من الله تعالى، واللهُ تبارك وتعالى أحسن حديثا واصدق قيلا، ويريد البيان والهداية والتوبة علينا

{وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا}، أم كيف لا تكون يقينية حقة والله تعالى يقول عن القرآن: {وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (٤١) لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ}

(يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ* وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ)

{ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ}

{وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ } ، وقال: { هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ}، وقال: {يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ}

- بيّنات الوحي متوافقة مع الفطرة الله تعالى خالق الإنسان وفاطره فَطَره على ما يتوافق مع ما خُلق لها ، ثم أنزل إليه الوحي ومنه القرآن ليبيّن بأدلته الخبرية والعَقليّة على ما خُلق له ، ومن هذا الوجه تتفق البينات العَقليّة الشَّرعيّة مع الفطرة الإنسانية؛ إذ مصدر الأمرين واحد، فالذي خلق العقل والإنسان هو الذي أنزل الأدلة العَقليّة الشَّرعيّة سبحانه وتعالى، ((وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا} ولذا يأمرنا الله سبحانه وتعالى بالتمسّك بكتابه ؛ لأنه موا فقٌ لما فطرنا عليه، يقول تعالى: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} ، وكثيراً ما تُستدعى الفطرة في الاستدلال العقلي الشرعي؛ كالاستدلال على الله تعالى الربّ الخالق المُنعم بالمقدِّمات الفطرية وقول الله تعالى وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (٢٠) اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ (٢١) وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٢) أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ (٢٣) إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٢٤) إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ))

((وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ (٢٧) وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ))

وفي قول الذين كفروا لرسلهم ((إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ (٩) قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ))

ونفس المعنى في قول الله تعالى ((قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ))

وفي قول هود عليه السلام ((يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي))

❁ **- بيّناتُ الوحي لها أثرٌ على قلب من نظر فيها واعتبر بها** كما في قول الله

{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ (٢٧) وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ}

((لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٨٢) وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٨٣) وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ (٨٤) فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ))

فهي {نُورٌ عَلَى نُورٍ} [النور: ٣٥]، تنير القلب، وتشرح الفؤاد، وتبصِّر الطريق، وتطمس الحيرة والشكوك، بل {يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ} " وما أحسن ما وصف الله به كتابه بقوله: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ}، فأقوم الطرق إلى أشرف المطالب ما بعث الله به رسوله

- ومع كونها حججا لا ريب فيها فإنها بيّنة ظاهرة واضحة مُباشرة

واقرأ اليسر والمباشرة في مثل هذه البينات

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ} ، وقال عز وجل: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} وقال جلَّ من قائل: {قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ * فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ}، وقال: {وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَاراً وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ}

ومقدّماتها من واقع الناس وما يُشاهدونه ويرونه ويعيشونه ويعلمونه ويعملونه وهذا من رحمة الله تعالى وكلما كان الإنسان أحوج إلى شيء كان الربّ به أجود ليسهل عليهم فهمه والاعتبار به والانتفاع، وألا تفتقر إلى مهارات خاصة أو مقدمات صعبة يمثِّل بالليل وبالنهار، وبالسماء وبالأرض، وبالجبال وبالنجوم، وبالنكاح وبالحدائق والزروع؛ كما في قوله تعالى: { وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ (٢٠) وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ

(٢١) وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ (٢٢) وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (٢٣) وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٢٤) }

وقوله تعالى: { أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ} [الغاشية: ١٧ – ٢٠]، ليس هذا فحسب بل حتى أنفُسنا يضرِب الله بها المَثَل ويبني عليها الأدلة يقول تعالى: {وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ (٢٠) وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ}

قوله تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ} فمَنْ من البشر لا يعرفُ الليل أو النهار أو الشمس أو القمر؟!

❖ -**ومن ذلك ضرب الأمثال، والتي هي القياس العقلي بعينه**، وأخبر سبحانه وتعالى أن العالمين هم من يعقل هذه الأمثال القرآنية "وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون" ، وكما قال ابن القيّم: "فالقياس في ضرب الأمثال من خاصة العقل، وقد ركز الله في فطر الناس وعقولهم التسوية بين المتماثلين وإنكار التفريق بينهما والفرق بين المختلفين وإنكار التسوية بينهما".

((ومن أمثلة القرآن قوله تعالى: "ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذي أحياها لمحيي الموتى إنه على كل شيء قدير" (فصلت: ٣٩)، فهذا مَثل ضربه الله عز وجل كدليل نقلي عقلي على إمكانية البعث بعد الموت، بإنبات الأرض الميتة الجرداء للنبات.

وفي قول الله ((أو لم يروا ان الله الذي خلق السموات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم وجعل لهم أجلا لا ريب فيه فأبى الظالمون إلا كفورا))

فإن وجود الشيء دليل على أن ما هو دونه أولى بالإمكان منه ثم إنه إذا تبين كون الشيء ممكنا فلا بد من بيان قدرة الرب عليه وإلا فمجرد العلم بإمكانه لا يكفى في إمكان وقوعه إن لم يعلم قدرة الرب على ذلك فبين سبحانه هذا كله بمثل قوله

(أو ليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم)

(أو لم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يعى بخلقهن بقادر على أن يحي الموتى بلى إنه على كل شيء قدير)

وقوله (لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس)

فإنه من المعلوم ببداهة العقول أن خلق السموات والأرض أعظم من خلق أمثال بني آدم والقدرة عليه أبلغ وأن هذا الأيسر أولى بالإمكان والقدرة من ذلك

<u>وكذلك استدلاله على ذلك بالنشأة الأولى</u> في مثل قوله (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه)

ولهذا قال بعد ذلك (وله المثل الأعلى في السموات والأرض) وقال (يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم..)

وكذلك ما ذكر في قوله (وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحي العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة...)

فإن قول المتكلم (من يحي العظام وهي رميم)

أي لا أحد يحي العظام وهي رميم، فإن كونها رميما يمنع عنده إحياءها لمصيرها إلى الحال اليَبس والبرودة المنافية للحياة التي مبناها على الحرارة والرطوبة ولتفرق أجزائها واختلاطها بغيرها ولنحو ذلك من الشبهات

والتقدير هذه العظام رميم ولا أحد يحي العظام وهي رميم فلا أحد يحييها ومضمونها امتناع الإحياء

فبين سبحانه إمكانه من وجوه ببيان إمكان ما هو أبعد من ذلك وقدرته عليه فقال (يحييها الذي أنشأها أول مرة)

وقد أنشأها من التراب ثم قال (وهو بكل خلق عليم)

ليبين علمه بما تفرق من الأجزاء أو استحال ثم قال (الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا) فبين أنه أخرج النار الحارة من البارد الرّطب وذلك أبلغ في المنافاة لأن اجتماع الحرارة والرطوبة أيسر من اجتماع الحرارة واليبوسة إذ الرطوبة تقبل من الانفعال ما لا تقبله اليبوسة ولهذا كان تسخين الهواء والماء أيسر من تسخين التراب

فتكوّ ن الحيوان من العناصر أولى بالإمكان من تكون النار من الشجر الأخضر فالقادرُ على أن يخلق من الشجر الأخضر نارا أولى بالقدرة أن يخلق من التراب حيوانا ..

ثم قال (أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم)

وهذه مقدمة معلومة بالبداهة مستقر معلوم عند المخاطب كما قال سبحانه، ثم بين قدرته العامة بقوله (إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون)

وفى هذا الموضع وغيره من القرآن من الأسرار وبيان الأدلة القطعية على المطالب الدينية)) من كلام ابن تيمية بتصرف واختصار

❖ **-وقد جاء في الوحي منهاج في الاحتجاج في ردّ الباطل وبيان الحق،** من فقهها واتّبعها فلا يحتاج إلى غيرها، في مثل محاجّة إبراهيم عليه السلام مع الرجل الكافر

{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}

- **وبيّنات الوحي موجزة لا حشو فيها،** فيها بيان المعاني المرادة بأقلّ قدر ممكن من الكلام دون إخلال في المعنى

{وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} فانظر كم في هذه الآية من المعاني المراد بيانها

- **براهين الوحي كثيرة ومتنوعة ومتشابهة يُصدّق بعضها بعضا**

وهو من معاني قول الله ((اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا))

{سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} [فصلت: ٥٣].

فالآفاق والأقطار بدءاً بالسماء والأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والنبات والأشجار والأنهار كلُّها آيات عليه سبحانه، وفي نفس الإنسان، وفي الوحي من البراهين ما يشهد للقرآن وما فيه من الأخبار والشريعة {وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا}

قال ابن تيمية رحمه الله: "فإن المطلوب كلما كان الناس إلى معرفته أحوج يسر الله على عقول الناس معرفة أدلته، فأدلة إثبات الصانع وتوحيده وأعلام النبوة وأدلتها كثيرة جدًّا، وطرق الناس في معرفتها كثيرة، وكثير من الطرق لا يحتاج إليه أكثر الناس، وإنما يحتاج إليه من لم يعرف غيره أو من أعرض عن غيره).

وهذا التنوّع في الآيات مع تنوّع سُبل العلم كما قال تعالى: {وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [النحل: ٧٨]، فبالسمع تُعقَل آيات الله في الوحي، وبالبصر تُعقَل دلائل الله في أفعاله، والعقل يجمع كل تلك المعطيات السمعية والبصرية ويرى التوافق بينها وبين الفطرة التي فُطر عليها الإنسان، فيتبيّن له الحق.

- **فضل تعلم القرآن**

وفي السنن الثابتة عن رسول الله ﷺ في الأمر بتعلُّم القرآن والحثِّ على حمله وحفظه والتمسك به ما هو على الوفاق لما جاء به كتاب الله تعالى من ذلك مما يزيد المؤمنين طلبًا له، وتسابقًا إلى نيل الدرجات بتحصيله.

فعَنْ عُثْمَانَ بن عفان ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ((خَيْرُكُمْ (وفي لفظ: إن أفضلكم) مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ)) أخرجه البخاري.

وعن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: خَرَجَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَنَحْنُ فِي الصُّفَّةِ فَقَالَ: ((أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بُطْحَانَ أَوْ الْعَقِيقِ فَيَأْتِيَ مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ فِي غَيْرِ إِثْمٍ وَلَا قَطِيعَةِ رَحِمٍ؟))، قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ ، كُلُّنَا نُحِبُّ ذَلِكَ، قَالَ: ((أَفَلَا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيُعَلِّمُ أَوْ يَقْرَأُ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللهِ خَيْرٌ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلَاثٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثٍ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ، وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الْإِبِلِ)) أخرجه مسلم.

وعن عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ:

((لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ، وَآنَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا، فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ، وَآنَاءَ النَّهَارِ)) متفق عليه.

فصاحبُ القرآن الذي يعملُ به هو القائم به ليله بالصلاة به وتدبره بالتفكر في معانيه، ونهاره بامتثال أحكامه وشرائعه، فهذا يتمنى من لم يُحصِّل مثل تحصيله أن لو كان له مثل ذلك.

كما يفسره حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: ((لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ أَعْطَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ، فَهُوَ يَتْلُوهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، فَسَمِعَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا لَيْتَنِي أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ هَذَا، فَعَمِلْتُ فِيهِ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ فِيهِ هَذَا، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَهُوَ يُهْلِكُهُ فِي الْحَقِّ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا لَيْتَنِي أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ هَذَا، فَعَمِلْتُ فِيهِ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ)) أخرجه البخاري.

وقد جاء الأمر بتعاهد القرآن خشيةَ التفلُّت ، وتعاهدُ القرآن حاصلٌ بأمرين: إدمان تلاوته، والعمل به.

عَنْ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ((تَعَاهَدُوا الْقُرْآنَ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُوَ أَشَدُّ تَفَصِّيًا مِنَ الإِبِلِ فِي عُقُلِهَا)). متفق عليه.

والمعنى أن سرعة تفلُّت القرآن من صدور الحُفّاظ أشد من سرعة انطلاق البعير حين يُفك من قيده، ومن طبعه شدة النفور، فإذا انطلق شق إمساكه، وربما ذهب فلا يُقدر عليه؛ لذا أمر النبي ﷺ الحفاظَ على المواظبة على مراجعة حفظهم للقرآن، وإلا ذهب عنهم.

وقد حذر الله تعالى عباده من الإعراض عن القرآن وذكر أنه صفة الكافرين: قال تعالى: ﴿حم (١) تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٢) كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣) بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (٤) وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ [فصلت: ١ - ٥].

﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (١٧٥) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (١٧٦) سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٥ - ١٧٧]

وفي حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه وفيه قصة الرؤية التي رآها النبي ﷺ قال: رأيت الليلة رجلين أتياني فأخذا بيدي... وساق الحديث وفيه: حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ عَلَى قَفَاهُ وَرَجُلٌ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِهِ بِفِهْرٍ - أَوْ صَخْرَةٍ - فَيَشْدَخُ بِهِ رَأْسَهُ، فَإِذَا ضَرَبَهُ تَدَهْدَهَ الحَجَرُ، فَانْطَلَقَ إِلَيْهِ لِيَأْخُذَهُ، فَلَا يَرْجِعُ إِلَى هَذَا حَتَّى يَلْتَئِمَ رَأْسُهُ وَعَادَ رَأْسُهُ كَمَا هُوَ، فَعَادَ إِلَيْهِ، فَضَرَبَهُ، قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟... ثم فسرا ذلك له فقالوا: وَالَّذِي رَأَيْتَهُ يُشْدَخُ رَأْسُهُ، فَرَجُلٌ عَلَّمَهُ اللَّهُ القُرْآنَ، فَنَامَ عَنْهُ بِاللَّيْلِ وَلَمْ يَعْمَلْ فِيهِ بِالنَّهَارِ، يُفْعَلُ بِهِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ.

كيف أخذ الصحابة القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

عن عائشة رضي الله عنها ((إنَّما نَزَلَ أوَّلَ ما نَزَلَ منه سُورَةٌ مِنَ المُفَصَّلِ، فيهَا ذِكْرُ الجَنَّةِ والنَّارِ، حتَّى إذَا ثَابَ النَّاسُ إلى الإسْلَامِ نَزَلَ الحَلَالُ والحَرَامُ، ولو نَزَلَ أوَّلَ شيءٍ: لا تَشْرَبُوا الخَمْرَ، لَقالوا: لا نَدَعُ الخَمْرَ أبَدًا، ولو نَزَلَ: لا تَزْنُوا، لَقالوا: لا نَدَعُ الزِّنَا أبَدًا، لقَدْ نَزَلَ بمَكَّةَ علَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ وإنِّي لَجَارِيَةٌ ألْعَبُ: {بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ والسَّاعَةُ أدْهَى وأَمَرُّ} وما نَزَلَتْ سُورَةُ البَقَرَةِ والنِّسَاءِ إلَّا وأَنَا عِنْدَهُ))

- **والملاحظ هنا فقه عائشة رضي الله عنها:**
- - تربط بين الأمور التي نزل فيها القرآن وبين إيمان الصحابة بها والعمل بها واستعدادهم لتلقيه والتسليم له
- - وفيه أن توطئة النفس بذكر ما ذُكر في سور المفصّل من المعاني والاخبار والأحكام هو مفتاح قبول الشريعة والأحكام والأخبار والتسليم لها

وهذا قريب من حديث (إن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال ثم نزل القرآن)

- - وفيه: أن إهمال هذه الأساسيات، أو تجاوزها سبب لعدم قبول الشريعة أو الشك أو في أخبارها أو بقاء حرج في النفس لأحكامها ونحو ذلك
- - وفيه أن النفس لا تتغير بسهولة عما اعتادت عليه، وأنها تحتاج ترتيب وتدرج وحكمة
- - وأنها مهما اعتادت على الشيء فيمكن أن تتغير
- - وأن الأسلوب الصحيح في اختيار المقدمات سبب في تغييرها، وأن تجاوزها سبب في صعوبة التغيير أو رفض الشريعة
- - وأن العلم بالله وبأسمائه وحكمته وآياته في خلقه وفي النفس والجزاء ونحو ذلك هي التي تعين النفس على طلب التزكية وتصبرها عليها

لذلك فجمع ما جاء في المفصّل من المعاني مهم جدا وتأسيسي

ولقد كان أصحاب النبي ﷺ أحرصَ الناس على الاعتصام بهذا الكتاب، وأعلمَ الناس به، وأعرفهم بما يجب في حقه من العناية، فحري بمن بعدهم أن يسلك هُداهم في ذلك، وأن يعرف عنهم كيف كانوا يأخذون هذا القرآن

عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قَالَ: حَدَّثَنَا مَنْ كَانَ يُقْرِئُنَا مِنْ أَصْحَابِ الرَّسُولِ ﷺ، أَنَّهُمْ كَانُوا ((يَقْتَرِئُونَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَشْرَ آيَاتٍ، فَلَا يَأْخُذُونَ فِي الْعَشْرِ الْأُخْرَى حَتَّى يَعْلَمُوا مَا فِي هَذَا مِنَ الْعَمَلِ))، قَالَ: ((فَعَلِمْنَا الْعَمَلَ وَالْعِلْمَ)). أخرجه ابن أبي شيبة (٢٩٩٢٠).

ففي هذا أن الحفظ عندهم كان مقترنًا بالعلم بالمحفوظ، وامتثال ما فيه من الأمر والنهي والاعتبار وغير ذلك، فكانوا لذلك يأخذونه عشر عشر آيات ليكونَ أيسر عليهم.

فلم يكن يشغلهم كثرةُ الحفظ كما صار إليه حال كثيرٍ ممن بعدهم، وإنما علموا أن هذا القرآن إنما أنزل للعمل، ولا عمل دون علم وفهم.

عَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ فِتْيَانٌ حَزَاوِرَةٌ، ((فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ فَازْدَدْنَا بِهِ إِيمَانًا)). أخرجه ابن ماجة وإسناده صحيح.

وعن عبد الله بن عمر : بقول عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ، يَقُولُ: " لَقَدْ عِشْنَا بُرْهَةً مِنْ دَهْرٍ وَأَحَدُنَا يَرَى الْإِيمَانَ قَبْلَ الْقُرْآنِ، وَتَنْزِلُ السُّورَةُ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَتَعَلَّمُ حَلَالَهَا وَحَرَامَهَا، وَأَمْرَهَا وَزَاجِرَهَا، وَمَا يَنْبَغِي أَنْ نُوقَفَ عِنْدَهُ مِنْهَا، كَمَا تَعَلَّمُونَ أَنْتُمُ الْيَوْمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ لَقَدْ رَأَيْتُ الْيَوْمَ رِجَالًا يُؤْتَى أَحَدُهُمُ الْقُرْآنَ قَبْلَ الْإِيمَانِ، فَيَقْرَأُ مَا بَيْنَ فَاتِحَتِهِ إِلَى خَاتِمَتِهِ، وَلَا يَدْرِي مَا أَمْرُهُ وَلَا زَاجِرُهُ، وَلَا مَا يَنْبَغِي أَنْ يَقِفَ عِنْدَهُ مِنْهُ وَيَنْثُرُهُ نَثْرَ الدَّقْلِ "

والدقل : بفتح الدال المهملة بعدها قاف مفتوحة وهو رديء التمر ويابسه ،

قال الحسن البصري: [إن هذا القرآن قد قرأه عبيد وصبيان لا علم لهم بتأويله، وما تدبّر آياته إلا باتباعه، وما هو بحفظ حروفه وإضاعة حدوده حتى إن أحدهم ليقول: لقد قرأت القرآن فما أسقطت منه حرفاً وقد - والله ! - أسقطه كله مايُرى القرآن له في خلق ولا عمل، حتى إن أحدهم ليقول: إني لأقرأ السورة في نَفَسٍ ! والله ! ما هؤلاء بالقراء ولا العلماء ولا الحكماء ولا الوَرَعة متى كانت القراء مثل هذا ؟ لا كثَّر الله في الناس أمثالهم]. الزهد (ص/٢٧٦)

عن ابن عمر - - قال: [كان الفاضل من أصحاب رسول الله في صدر هذه الأمة لا يحفظ من القرآن إلا السورة ونحوها ورزقوا العمل بالقرآن، وإن آخر هذه الأمة يقرؤون القرآن، منهم الصبي والأعمى ولا يرزقون العمل به. الجامع لأحكام القرآن (٣٩/١)

وقال ابن مسعود : إنّا صعب علينا حفظ ألفاظ القرآن، وسهل علينا العمل به، وإن مَنْ بعدنا يسهل عليهم حفظ القرآن ويصعب عليهم العمل به]الجامع لأحكام القرآن (٤٠/١)

قول جُنْدُبٍ : «كُنَّا مَعَ نَبِينَا - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِتْيَانًا حَزَاوِرَةً، فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ فَنَزْدَادُ بِهِ إِيمَانًا، فَإِنَّكُمُ الْيَوْمَ تَعَلَّمُونَ الْقُرْآنَ قَبْلَ الْإِيمَانِ» وكلها تدل على معنى واحد.

ونفسُ هذا الإيمان الذي يتهيّأ به القلب هو في القرآن

حديث النبي ﷺ هو بيانه القرآن الكريم

- **قد جعل الله تعالى نبيّه محمّدا صلى الله عليه وسلم المُبلِّغ والمبيّنَ لكتابه :**

فكلُّ ما تقدم من الأمر بالتمسك بالقرآن الكريم والاعتصام به والحثِّ على تعلمه وفقهه وتعاهده والتحذير من هجره ونحو ذلك هو نفسه دليلُ وبرهانُ الأخذ والاعتناء بما جاء عن النبي ﷺ من هديه قولًا وفعلًا وصفة وإقرارًا.

إذ الهدى في القرآن العظيم لا يتمّ إلا ببيان النبي محمد ﷺ ؛ فقد جعله الله تعالى المبلِّغ والمبين والمفصِّل قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤]، وقال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: ٦٤].

وفي الصحيحين قال ﷺ: ((وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي))، وقوله ﷺ في بيان قوله تعالى: ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٥]: ((خُذُوا عَنِّي، خُذُوا عَنِّي، قَدْ جَعَلَ اللهُ لَهُنَّ سَبِيلًا، الْبِكْرُ بِالْبِكْرِ جَلْدُ مِائَةٍ وَنَفْيُ سَنَةٍ، وَالثَّيِّبُ بِالثَّيِّبِ جَلْدُ مِائَةٍ، وَالرَّجْمُ)).

وقوله ﷺ في بيان الحج: ((لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ)).

- **ولذلك جاء الأمر بالإيمان به ﷺ وطاعته وأنها طاعة لله والتحذير من معصيته وأنها معصية لله.**

وكان من أعظم ما امتنَّ الله تعالى به على عباده أن أرسل إليهم رسلًا يدعونهم إلى الحق والخير يتلون عليهم آيات الله ويزكونهم بمكارم الأخلاق بعد أن كانوا في تيه وضلالٍ وغفلة عن هذا؛ قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

فأرسل الله تعالى رسله ليبصروا الناس بالغاية من خلقهم وأنهم لم يُخلقوا عبثًا ولا سدى بل خُلقوا لأعظم غاية أن يكونوا عبادً لله مستسلمين له بالطاعة محبين له خائفين منه سبحانه، فرسلُ الله هم الأدلاء على الله، يُبصرون الناس بسبل مرضاته، والله تعالى أوجب على كل نبيَ منهم أن يكون دليلًا لقومه على الحق ونذيرًا ينذرهم الشر كما في صحيح مسلمٍ وغيره:

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ رَبِّ الْكَعْبَةِ، قَالَ: دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَإِذَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ جَالِسٌ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، وَالنَّاسُ مُجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ، فَأَتَيْتُهُمْ فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَنَزَلْنَا مَنْزِلًا فَمِنَّا مَنْ

يُصْلِحُ خِباءَهُ، ومِنَّا مَنْ يَنْتَضِلُ، ومِنَّا مَنْ هُوَ فِي جَشَرِهِ، إِذْ نَادَى مُنَادِي رَسُولِ اللهِ ﷺ: الصَّلَاةَ جَامِعَةً، فَاجْتَمَعْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: ((إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ)).

فلولا هذه النعمة (إرسال الرسل) لَوُكِلَ الناس إلى مجرّد عقولهم وأهوائهم ولو كان ذلك كذلك لضلوا السبيل، وما استطاعوا تمييز حق من باطل ولا كفر من إيمان ولا استقامة من ضلال قال تعالى: ﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ﴾ [المؤمنون: ٧١].

فالرسل هم الحكّام على أقوامهم بما يُوحَى إليهم من الشرائع إذ هم الوسائط بين الرّب ﷻ وبين سائر خلقه يبلِّغون رسالات ربهم ويُقوِّمون سلوك أقوامهم، فلم يدعْ الحكيمُ الخبيرُ الهدايةَ لعقل الإنسان المجرد، وإنما العقل أداةٌ يعقل بها العبدُ ويتدبر مرادَ ربِّه وشرعه الذي أرسل به رسله، فهو تبع للوحي وليس له حقِ الإنشاء والابتداء للأحكام والتشريع.

- **وقد جعل الله النجاةَ في اتباع الرسل والفوز والفلاحَ في طاعتهم واقتفاءِ آثارهم، والإعراضَ عنهم سبب الخسران والشقاء**، قال تعالى: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى (١٢٦) وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى (١٢٧)﴾ [طه: ١٢٣، ١٢٧].

- **وقد أرسل الله رسله تترَا حتى ختمهم برسول كريم هو النبي محمد ﷺ فكان ختامها مسكًا أتمّ الله به الرسالة وأكمل به البناء** ، كما في الصحيحين عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((مَثَلِي، وَمَثَلُ الأَنْبِيَاءِ كَرَجُلٍ بَنَى دَارًا، فَأَكْمَلَهَا وَأَحْسَنَهَا إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَدْخُلُونَهَا وَيَتَعَجَّبُونَ وَيَقُولُونَ: لَوْلاَ مَوْضِعُ اللَّبِنَةِ)).

فعمت رسالته ﷺ العالمين، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩].

وفي الصحيحين عن جَابِرِ بْنُ عَبْدِ اللهِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: ((أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلاَةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي المَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً)).

فهيمنت رسالته على كلّ الرسالات قبله ،فما بقي للناس إلا طريق واحد وهو هدي النبي محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

❁ - **وقد فرّق الله به بين الحق والباطل** كما في البخاري من حديث جابر ﷺ: ((جاءَتْ مَلائكةٌ إلَى النَّبيِّ ﷺ وَهُوَ نَائِمٌ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهم: إنَّ العَيْنَ نَائِمَةٌ، وَالقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقَالُوا: إِنَّ لِصَاحِبِكُمْ هَذَا مَثَلًا، فَاضْرِبُوا لَهُ مَثَلًا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ العَيْنَ نَائِمَةٌ، وَالقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقَالُوا: مَثَلُهُ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا، وَجَعَلَ فِيهَا مَأْدُبَةً وَبَعَثَ دَاعِيًا، فَمَنْ أَجَابَ الدَّاعِيَ دَخَلَ الدَّارَ وَأَكَلَ مِنَ المَأْدُبَةِ، وَمَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّاعِيَ لَمْ يَدْخُلِ الدَّ ارَ وَلَمْ يَأْكُلْ مِنَ المَأْدُبَةِ، فَقَالُوا: أَوِّلُوهَا لَهُ يَفْقَهْهَا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ العَيْنَ نَائِمَةٌ، وَالقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقَالُوا: فَالدَّارُ الجَنَّةُ، وَالدَّاعِي مُحَمَّدٌ ﷺ، فَمَنْ أَطَاعَ مُحَمَّدًا ﷺ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَى مُحَمَّدًا ﷺ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ فَرْقٌ بَيْنَ النَّاسِ)).

❁ - **وطاعتُه ﷺ طاعة لله سبحانه**، قال تعالى: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء: ٨٠].

كما حذر سبحانه من معصيته ومخالفة أمره قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٧]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا﴾ [الأحزاب: ٦٦]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٣]، والآيات في هذا المعنى كثيرة جدًّا.

كما أمر سبحانه بالتأسي بالنبي ﷺ وباتباعه وجعل ذلك برهان محبة الله قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣١) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣١، ٣٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧]، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]، وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، وفي حديث أبي موسى الأشعري في الصحيحين عن النبي ﷺ، قَالَ: ((إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ، كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمًا فَقَالَ: يَا قَوْمِ، إِنِّي رَأَيْتُ الجَيْشَ بِعَيْنَيَّ، وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ العُرْيَانُ، فَالنَّجَاءَ، فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ قَوْمِهِ، فَأَدْلَجُوا، فَانْطَلَقُوا عَلَى مَهَلِهِمْ فَنَجَوْا، وَكَذَّبَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ، فَأَصْبَحُوا مَكَانَهُمْ، فَصَبَّحَهُمُ الجَيْشُ فَأَهْلَكَهُمْ وَاجْتَاحَهُمْ، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ أَطَاعَنِي فَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ، وَمَثَلُ مَنْ عَصَانِي وَكَذَّبَ بِمَا جِئْتُ بِهِ مِنَ الحَقِّ)).

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((مَثَلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا، فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهَا جَعَلَ الْفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا، وَجَعَلَ يَحْجُزُهُنَّ وَيَغْلِبْنَهُ فَيَتَقَحَّمْنَ فِيهَا، قَالَ فَذَلِكُمْ مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ، أَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ، هَلُمَّ عَنِ النَّارِ، هَلُمَّ عَنِ النَّارِ فَتَغْلِبُونِي تَقَحَّمُونَ فِيهَا)).

وفي الصحيحين عن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رضي الله عنه، يَقُولُ: جَاءَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ؟ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلاَ أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: ((أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي)).

وهذا الاتباع هو اتباع لله تعالى إذ النبي ﷺ لا ينطق عن الهوى بل هو مبلغ عن ربه ومبين لشرعه، قال تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى (٢) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: ٢ - ٤].

وفي قوله تعالى : ((لقد مَنَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين)) (آل عمران: ١٦٤) ، قد ذهب أهل العلم والتحقيق إلى أن المراد بالحكمة سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، قال الإمام الشافعي - رحمه الله - : " فذكر الله الكتاب وهو القرآن ، وذكر الحكمة ، فسمعتُ مَن أرضى - من أهل العلم بالقرآن - يقول: الحكمة سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهذا يُشبه ما قال - والله أعلم - لأن القرآن ذُكر ، وأُتْبِعَتْه الحكمة ، وذكر الله مَنَّه على خلقه : بتعليمهم الكتاب والحكمة ، فلم يجز - والله أعلم - أن يقال الحكمة هنا إلا سنّة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وذلك أنها مقرونة بالكتاب ، وأن الله افترض طاعة رسوله - صلى الله عليه وسلم - ، وحتم على الناس اتباع أمره ، فلا يجوز أن يقال لقول : فرضٌ . إلا لكتاب الله ثم سنة رسوله : لما وصفنا من أن الله جعل الإيمان برسوله مقروناً بالإيمان به ..." اهـ .

و قال الإمام الشافعي رحمه الله : " **أجمع الناس على أن من استبانت له سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس** " ، وقال في الأم : " لم أسمع أحداً نسبه الناس أو نسب نفسه إلى علم ، يُخالف في أن فرض الله عز وجل اتباع أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والتسليم لحكمه ، وأن الله عز وجل لم يجعل لأحد بعده إلا اتباعه ، وأنه لا يَلزم قولٌ بكل حال إلا بكتاب الله أو سنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - ، وأن ما سواهما تبعٌ لهما ، وأن فرض الله علينا وعلى من بعدنا وقبلنا في قبول الخبر عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - واحد لا يختلف فيه الفرض ، وواجب قبول الخبر عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - "

.

وقال الإمام ابن حزم عند قوله تعالى: {فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر} (النساء: ٥٩) " الأمة مُجمِعة على أن هذا الخطاب متوجه إلينا وإلى كل من يُخْلَق ويُركَّب روحه في جسده إلى يوم القيامة من الجِنَّة والناس ، كتوجهه إلى من كان على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكل من أتى بعده عليه السلام ولا فرق"اهـ .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: " وليعلم أنه ليس أحد من الأئمة المقبولين عند الأمة قبولا عاماً يتعمد مخالفة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في شيء من سنته دقيق ولا جليل . **فإنهم متفقون اتفاقا يقينيا على وجوب اتباع الرسول ، وعلى أن كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله** " .

ومما يدل على حجية السنة - من حيث النظر - أنه لا يمكن الاستقلال بفهم الشريعة وتفاصيلها وأحكامها من القرآن وحده ، لاشتماله على نصوص مجملة تحتاج إلى بيان ، وأخرى قد تبدو مُشكلةً تحتاج إلى توضيح وتفسير ، فكان لا بد من بيانٍ آخر لفهم مراد الله ، واستنباط تفاصيل أحكام القرآن ، ولا سبيل إلى ذلك إلا عن طريق السنة ، ولولاها لتعطلت أحكام القرآن ، وبطلت التكاليف .

قال الإمام ابن حزم رحمه الله : " في أي قرآن وجد أن الظهر أربع ركعات ، وأن المغرب ثلاث ركعات ، وأن الركوع على صفة كذا ، والسجود على صفة كذا ، وصفة القراءة فيها والسلام ، وبيان ما يجتنب في الصوم ، وبيان كيفية زكاة الذهب والفضة، والغنم والإبل والبقر ، ومقدار الأعداد المأخوذ منها الزكاة ، ومقدار الزكاة المأخوذة ، وبيان أعمال الحج من وقت الوقوف بعرفة ، وصفة الصلاة بها وبمزدلفة ، ورمي الجمار ، وصفة الإحرام وما يجتنب فيه ، وقطع يد السارق ، وصفة الرضاع المحرم ، وما يحرم من المآكل ، وصفة الذبائح والضحايا ، وأحكام الحدود ، وصفة وقوع الطلاق ، وأحكام البيوع ، وبيان الربا والأقضية والتداعي ، والأيمان والأحباس والعمرى ، والصدقات وسائر أنواع الفقه ؟ وإنما في القرآن جمل لو تركنا وإياها لم ندر كيف نعمل فيها ، وإنما المرجوع إليه في كل ذلك النقل عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ، وكذلك الإجماع إنما هو على مسائل يسيرة... فلا بد من الرجوع إلى الحديث ضرورة ، ولو أن امرءا قال : لا نأخذ إلا ما وجدنا في القرآن لكان كافرا بإجماع الأمة " اهـ .

۞ و تأمّل هذا الحديث الجامع الذي يصلُح كقاعدة هنا :

قال عَبْدِ اللَّه بن مسعود رضي الله عنه : " لَعَنَ اللَّهُ الْوَاشِمَات وَالْمُسْتَوْشِمَات ، وَالنَّامصَات وَالْمُتَنَمِّصَات ، وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ الْمُغَيِّرَات خَلْقَ اللَّه " ، قَالَ : فَبَلَغَ ذَلِكَ امْرَأَةً مِنْ بَنِي أَسَد يُقَالُ لَهَا أُمُّ يَعْقُوبَ ، وَكَانَتْ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ فَأَتَتْهُ ، فَقَالَتْ : مَا حَدِيثٌ بَلَغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ لَعَنْتَ الْوَاشِمَات وَالْمُسْتَوْشِمَات ، وَالْمُتَنَمِّصَات ، وَالْمُتَفَلِّجَات لِلْحُسْنِ الْمُغَيِّرَات خَلْقَ اللَّه ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّه : وَمَا لِي لَا أَلْعَنُ مَنْ لَعَنَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ فِي كِتَابِ اللَّه ، فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ : لَقَدْ قَرَأْتُ مَا بَيْنَ لَوْحِي الْمُصْحَف فَمَا وَجَدْتُهُ ، فَقَالَ : لَئِنْ كُنْتِ قَرَأْتِيهِ لَقَدْ وَجَدْتِيه ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا سورة الحشر آية ٧

فتبين مما سبق وجوب الاحتجاج بالسنة والعمل بها ، وأنها كالقرآن في وجوب الطاعة والاتباع ، وأن المستغني عنها هو مستغن عن القرآن ، وأن طاعة الرسول - صلى الله عليه وسلم - طاعة لله ، وعصيانه عصيان لله تعالى ، وأن العصمة من الضلال إنما هو بالتمسك بالقرآن والسنة جميعا

ولتحديد العلاقة بين الحديث والقرآن ولتوضيح كون الحديث مبيناً للقرآن الكريم نقول: إن بيان الحديث للقرآن اقسام:

١ - إما أن تكون سنّة مؤكدة ومقررة حكمًا جاء في القرآن، ومن هذه الأحكام الأمر بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت، والنهي عن الشرك بالله وشهادة الزور، وعقوق الوالدين وقتل النفس بغير الحق، وغير ذلك من المأمورات والمنهيات التي دل عليها القرآن وأتم بيانهَا الحديث النبوي.

٢ - وإما أن تكون سنّة مثبتة ومنشئة حكمًا سكت عنه القرآن فيكون هذا الحكم ثابتًا بالسنّة ولا يدل عليه نصّ في القرآن دلالة مباشرة وإلا فكل حديث في السنة دل عليه القرآن دلالة مباشرة وإما غير مباشرة، وانظر هذا المعنى في هذا الحديث قال عبد الله ابن مسعود: ((لَعَنَ اللَّهُ الوَاشِمَاتِ وَالْمُتوشِمَاتِ، وَالْمُتَنَمِّصَاتِ وَالْمُتَفَلِّجَاتِ، لِلْحُسْنِ الْمُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللَّهِ)) فَبَلَغَ ذَلِكَ امْرَأَةً مِنْ بَنِي أَسَدٍ يُقَالُ لَهَا أُمُّ يَعْقُوبَ، فَجَاءَتْ فَقَالَتْ: إِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ لَعَنْتَ كَيْتَ وَكَيْتَ، فَقَالَ: وَمَا لِي : أَلْعَنُ مَنْ لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَمَنْ هُوَ فِي كِتَابِ اللَّهِ، فَقَالَتْ: لَقَدْ قَرَأْتُ مَا بَيْنَ اللَّوْحَيْنِ، فَمَا وَجَدْتُ فِيهِ مَا تَقُولُ، قَالَ: لَئِنْ كُنْتِ قَرَأْتِيهِ لَقَدْ وَجَدْتِيهِ، أَمَا قَرَأْتِ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]؟ أخرجه البخاري.))، وقال تعالى ((من يطع الرسول فقد أطاع الله)).

ومن هذا تحريم الجمع بين المرأة وعمتها، وتحريم كل ذي ناب من السباع وتحريم لبس الحرير والتختيم بالذهب على الرجال، وما جاء في الحديث: ((يَحْرُمُ مِنَ الرَّضَاعِ مَا يَحْرُمُ مِنَ النَّسَبِ)).

٣ - وإما أن تكون سنّة مُفصِّلة ومفسرة لما جاء في القرآن مجملًا، أو مُقيِدة لما جاء فيه مطلقًا، أو مخصصة لما جاء فيه عامّا، فيكون هذا التفسير أو التقييد أو التخصيص الذي وردت به السنة مبينًا للمراد الذي جاء به القرآن.

وقد أنزل الله ﷻ القرآن على محمد ﷺ وأعلَمَه أنه أنزله إليه ليبين للناس ما فيه مما يحتاجون إلى بيانه، قال تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

فبين الله للمؤمنين منزلة الهدي النبوي في التشريع بأن أقوال الرسول ﷺ وأفعاله وإقراراته تبين المراد من القرآن إذ تفصل مجملَه، وتقيد مطلَقه، وتُعَين ما لم يُعينه من المقادير والحدود والجزئيات.

ما جاء في الكتاب من الأحكام والمعاني بيانه في الهدي النبوي الشريف، ولولا بيان النبي ﷺ لها لتعطل العمل بها، فالله يقول: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ٤٣].

- و الصلاة المأمور بها ما هي؟ وما كيفيتها؟ وما أوقاتها ، وكذلك الزكاة، وما مقدارها؟ ومن أي الأموالِ تؤخذ؟ ومتى تؤدي؟ وعلى من تجب؟
- ويقول ﷻ: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ [المائدة: ٤٥]، ويقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى﴾ [البقرة: ١٧٨].

هاتان الآياتان تفيدان وجوب القصاص من كل قاتل، متى ثبت موجبَه وهو حكم عام، وقد قال رسول الله ﷺ: ((أَلَا لاَ يُقْتَلَ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ))، فخصص بهذا عموم الآيتين.

- وفي قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

لما نزلت هذه الآية أشكل الأمر على الصحابة، فأزال النبي ﷺ هذا الإشكال ببيان أن المراد بالظلم الشرك.

روى عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا﴾ [الأنعام: ٨٢]، إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ شَقَّ ذَلِكَ عَلَى المُسْلِمِينَ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّنَا لاَ يَظْلِمُ نَفْسَهُ؟ قَالَ: ((لَيْسَ ذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ الشِّرْكُ أَلَمْ تَسْمَعُوا مَا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيِّ لاَ تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ)).

- لأجل هذا كان الصحابة يرجعون إلى النبي ﷺ في فهم كل ما أشكل عليهم فهمه أو استنباطه من القرآن، ويستفتونه فيما يقع لهم من الحوادث، فيبين لهم النبي ﷺ ما أشكلَ عليهم ويعلمهم ما خفي عليهم، مثلًا نزلت آيات الصيام ولم يذكر فيها حكمَ من أكل أو شرب ناسيا، فأفتاه النبيّ ﷺ بأن صومه صحيح، لأن الخطأ والنسيان معفو عنهما.

ومن هذا الوجه: قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: ٦].

فأبان القرآن الكريم: أن من أحدث حدثًا أصغر، وأراد الصلاة فلا يصلي حتى يغسل أعضاء الوضوء، وبمثله جاءت الحديث.

فقد روى البخاري بسنده عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((لاَ تُقْبَلُ صَلاَةُ مَنْ أَحْدَثَ حَتَّى يَتَوَضَّأَ)).

- ومنه أيضًا قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة: ١٨٥]..... إلى آخر الآية، فقد جاءت السنّة مبينة مثل ذلك النص بتحديد رمضان المطلوب صومه برؤية الهلال.

روى البخاري عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذَكَرَ رَمَضَانَ فَقَالَ: ((لاَ تَصُومُوا حَتَّى تَرَوُا الْهِلاَلَ، وَلاَ تُفْطِرُوا حَتَّى تَرَوْهُ، فَإِنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ فَاقْدُرُوا لَهُ)).

وفي رواية أخرى عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: ((الشَّهْرُ تِسْعٌ وَعِشْرُونَ لَيْلَةً، فَلاَ تَصُومُوا حَتَّى تَرَوْهُ، فَإِنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ فَأَكْمِلُوا العِدَّةَ ثَلاَثِينَ)).

قال الإمام المروزي في كتابه (السنّة): وجدت أصول الفرائض كلها لا يُعرفُ تفسيرها ولا يمكن تأديتها ولا العملُ بها إلا بترجمة من النبي ﷺ وتفسير منه، من ذلك: الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد.

١ - قال الله ﷻ: ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣].

فأجمل فرضها في كتابه، ولم يفسرها، ولم يخبر بعددها وأوقاتها، فجعل رسولَه هو المفسرَ لها والمبين عن خصوصها وعمومها وعددها وأوقاتها وحدودها، وأخبر النبي ﷺ أن الصلاة التي افترضها الله هي خمسُ صلواتٍ في اليوم والليلة في الأوقات التي بيّنها وحدّدها، فجعل صلاة الغداة ركعتين، والظهر والعصر والعشاء أربعًا أربعًا والمغرب ثلاثًا، وأخبر أنها على العقلاء البالغين من الأحرار والعبيد. ذكورهم وإناثهم، إلا الحُيّض فإنه لا صلاة عليهن، وفرق بين صلاة الحضر والسفر، وفسر عدد الركوع والسجود والقراءة وما يعمل فيها.

وكذلك فسر النبي ﷺ الزكاة بسنّته، فأخبر أن الزكاة إنما تجب في بعض الأموال دون بعض على الأوقات والحدود التي حدّدها وبيّنها فأوجب الزكاة في العين من الذهب والفضة والمواشي من الإبل والغنم والبقر السائمة وفي بعض ما أخرجت الأرض دون بعض، وعفا عن سائر الأموال فلم يوجب فيها الزكاة ولم يوجب الزكاة فيما أوجبها فيه من الأموال ما لم تبلغ الحدود التي حدها فقال: عَنْ أَبِي سَعِيدِ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ((لَيْسَ فِيمَا أَقَلُّ مِنْ خَمْسَةِ أَوْسُقٍ صَدَقَةٌ، وَلاَ فِي أَقَلَّ مِنْ خَمْسَةٍ مِنَ الإِبِلِ الذَّوْدِ صَدَقَةٌ، وَلاَ فِي أَقَلَّ مِنْ خَمْسِ أَوَاقٍ مِنَ الوَرِقِ صَدَقَةٌ)) قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ: هَذَا تَفْسِيرُ الأَوَّلِ إِذَا قَالَ: ((لَيْسَ فِيمَا دُونَ خَمْسَةِ أَوْسُقٍ صَدَقَةٌ)) صحيح البخاري.

وبيّن أن الزكاة إنما تجب على من وجبت عليه إذا حال عليه الحول من يوم يملك ما تجب فيه الزكاة، ثم تجب عليه في المستقبل من حول إلى حول، إلا ما أخرجت الأرض، فإن الزكاة تؤخذ مما وجبت فيه الزكاة منه عند الحصاد، وإن لم يكن الحول حال عليه، ثم إن بقي بعد ذلك سنين لم يجب عليه غير الزكاة الأولى، كل ذلك مأخوذ عن سنّة رسول الله ﷺ غير موجود في كتاب الله بهذا التفسير.

٣ - وكذلك الصيام، قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ [البقرة: ١٨٣].

فجعل ﷺ فرض الصيام على البالغين من الأحرار والعبيد، ذكورهم وإناثهم إلا الحيض فإنهن رفع عنهن الصيام، فسوى بين الصيام والصلاة في رفعها عن الحِيض، وفرق بينهما في القضاء فأوجب عليهن قضاء الصيام ورفع عنهن قضاء الصلاة.

وكذلك الحج، افترض الله الحج في كتابه، فقال: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧].

فبين رسول الله ﷺ المبين عن الله مراده: أن الحج لا يجب في العمر إلا مرة واحدة.

فقد روى أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: ((أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ، فَحُجّوا))، فَقَالَ رَجُلٌ: أَكُلَّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَسَكَتَ حَتَّى قَالَهَا ثَلَاثًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((لَوْ قُلْتُ: نَعَمْ لَوَجَبَتْ، وَلَمَا اسْتَطَعْتُمْ))، ثُمَّ قَالَ: ((ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ)).

وقال الله ﷻ: ﴿فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ﴾ [البقرة: ١٩٧].

فبين النبي ﷺ بسنّته أن فرض الحج هو الإهلال، وفسر الإهلال ومواقيت الحج والعمرة جميعًا، وبين ما يلبس المحرم مما لا يلبسه وغير ذلك من أمور مما ليس بيانه في كتاب الله وغيرها.

وعَنْ سَالِمٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، مَا يَلْبَسُ المُحْرِمُ مِنَ الثِّيَابِ؟ فَقَالَ: ((لاَ يَلْبَسِ القَمِيصَ، وَلاَ العَمَائِمَ، وَلاَ السَّرَاوِيلاَتِ، وَلاَ البُرْنُسَ، وَلاَ ثَوْبًا مَسَّهُ زَعْفَرَانٌ، وَلاَ وَرْسٌ، وَإِنْ لَمْ يَجِدْ نَعْلَيْنِ فَلْيَلْبَسِ الخُفَّيْنِ وَلْيَقْطَعْهُمَا حَتَّى يَكُونَا أَسْفَلَ مِنَ الكَعْبَيْنِ))، أخرجه البخاري.

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ((أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَقَّتَ [ص:١٣٥] لِأَهْلِ المَدِينَةِ ذَا الحُلَيْفَةِ، وَلِأَهْلِ الشَّأْمِ الجُحْفَةَ، وَلِأَهْلِ اليَمَنِ يَلَمْلَمَ، وَلِأَهْلِ نَجْدٍ قَرْنًا، فَهُنَّ لَهُنَّ وَلِمَنْ أَتَى عَلَيْهِنَّ، مِنْ غَيْرِ أَهْلِهِنَّ مِمَّنْ كَانَ يُرِيدُ الحَجَّ وَالعُمْرَةَ، فَمَنْ كَانَ دُونَهُنَّ، فَمِنْ أَهْلِهِ حَتَّى إِنَّ أَهْلَ مَكَّةَ يُهِلُّونَ مِنْهَا))، أخرجه البخاري.

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩].

فبين رسول الله ﷺ بسنّته عدد الطواف وكيفيته، فعَنْ جَابِرٍ قَالَ: طَافَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْبَيْتِ سَبْعًا، رَمَلَ مِنْهَا ثَلَاثًا، وَمَشَى أَرْبَعًا.

وعَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ سَالِمٍ، عَنْ أَبِيهِ ﷺ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حِينَ يَقْدَمُ مَكَّةَ إِذَا اسْتَلَمَ الرُّكْنَ الأَسْوَدَ، أَوَّلَ مَا يَطُوفُ: يَخُبُّ ثَلاَثَةَ أَطْوَافٍ مِنَ السَّبْعِ.

وفي قول الله تعالى عن الحائض: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

جاء بـ يانه في حديث عائشة رضي الله عنها: قَالَتْ: (كَانَتْ إِحْدَانَا إِذَا كَانَتْ حَائِضًا، فَأَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُبَاشِرَهَا أَمَرَهَا أَنْ تَتَّزِرَ فِي فَوْرِ حَيْضَتِهَا، ثُمَّ يُبَاشِرُهَا، قَالَتْ: وَأَيُّكُمْ يَمْلِكُ إِرْبَهُ، كَمَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَمْلِكُ إِرْبَهُ) صحيح البخاري (١/ ٦٧)

وحرّم الله الربا، وربا الجاهلية هو فسخ الدّين بالدّين، يقول الطالب: إما أن تقضي وإما أن تربي، فقال عليه السلام: ((وربا الجاهلية موضوع))، وإذ كان كذلك وكان المنع فيه إنما هو من أجل كونه زيادة في غير عوض، ألحقت السنّة به كل ما فيه زيادة بذلك المعنى، فقال عليه السلام: ((الذَّهَبُ بِالذَّهَبِ، وَالْفِضَّةُ بِالْفِضَّةِ، وَالْبُرُّ

بِالْبُرِّ، وَالشَّعِيرُ بِالشَّعِيرِ، وَالتَّمْرُ بِالتَّمْرِ، وَالْمِلْحُ بِالْمِلْحِ، مِثْلًا بِمِثْلٍ، سَوَاءً بِسَوَاءٍ، يَدًا بِيَدٍ، فَإِذَا اخْتَلَفَتْ هَذِهِ الْأَصْنَافُ، فَبِيعُوا كَيْفَ شِئْتُمْ، إِذَا كَانَ يَدًا بِيَدٍ)).

وحرّم الله الجمع بين الأم وابنتها في النكاح، وبين الأختين، وجاء في القرآن: ﴿وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ﴾ [النساء: ٢٤].

فجاء نهيه ﷺ عن الجمع بين المرأة وعمتها وخالتها، لأن المعنى الذي لأجله ذُمّ الجمع بين أولئك موجود ههنا وهو قطع الأرحام.

وذكر الله دية النفس ولم يذكر ديات الأطراف، وهي ما يشكل قياسها على العقول، فبيّن الحديث من دياتها ما وضح به السبل.

والأمثلة على ذلك كثيرة جدًا في أن النبي ﷺ جعله الله مبينًا لما في كتابه الكريم، وانظر إلى هذا الحديث العظيم الذي يبين هذا المعنى: عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: ((لَعَنَ اللهُ الوَاشِمَاتِ وَالمُوتَشِمَاتِ، وَالمُتَنَمِّصَاتِ وَالمُتَفَلِّجَاتِ، لِلْحُسْنِ المُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللهِ)) فَبَلَغَ ذَلِكَ امْرَأَةً مِنْ بَنِي أَسَدٍ يُقَالُ لَهَا [ص:١٤٨] أُمُّ يَعْقُوبَ، فَجَاءَتْ فَقَالَتْ: إِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ لَعَنْتَ كَيْتَ وَكَيْتَ، فَقَالَ: وَمَا لِي أَلْعَنُ مَنْ لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَمَنْ هُوَ فِي كِتَابِ اللهِ، فَقَالَتْ: لَقَدْ قَرَأْتُ مَا بَيْنَ اللَّوْحَيْنِ، فَمَا وَجَدْتُ فِيهِ مَا تَقُولُ، قَالَ: لَئِنْ كُنْتِ قَرَأْتِيهِ لَقَدْ وَجَدْتِيهِ، أَمَا قَرَأْتِ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]؟ أخرجه البخاري.

فقهُ الصحابة وعملُهم هو سبيلُ المؤمنين وهو أصحّ سبيل في الفقه في الدين وأحكمه .

وأعظمُ ما يُفقَه به القرآنُ وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عملُ الصحابة وطرائقُهم في التفقه في الدين وبحث المسائل والتعامل معها، فهم أولُ من آمن وخيرُ من آمن وخيرُ من عمل بالإسلام واستقام عليه وهم الذين شهدوا تنزيل الوحي وصاحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفقهوا عليه، وهم الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه وأمرنا أن نؤمن بمثل ما آمنوا وأن نتبعهم بإحسان

قال الله عز وجل :

﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح: ٢٩].

وقال سبحانه وتعالى ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا * وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا * وَعَدَكُمُ اللهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا

فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا * وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴾ [الفتح: ١٨ - ٢١].

﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا * دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [النساء: ٩٤ - ٩٦]

﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥].

﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ١٠٠].

﴿ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [الحديد: ١٠].

﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١١٧].

﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ * فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الحجرات: ٧ - ١٠].

﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنعام: ٥٢].

﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ [الكهف: ٢٨].

﴿ وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ * وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٦٢، ٦٣]

﴿ يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال: ٦٤] أي: يا أيها النبي الله وحده هو كافيك وكافي أصحابك وكل من اتبعك من المؤمنين ما يهمكم من أمور الدين والدنيا والآخرة.

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٧٤].

﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ * لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٨٥، ٢٨٦].

﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ * فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [البقرة: ١٣٦، ١٣٧].

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ * وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ * اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [البقرة: ١٣ - ١٥].

﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ * الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ * فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ [آل عمران: ١٧٢ - ١٧٤].

﴿ لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ٨٨، ٨٩].

﴿ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ ﴾ [التوبة: ٩١، ٩٢].

كلُّ آية تذكر المؤمنين وخصالَهم وأعمالهم وتثني عليهم فإن صحابةَ رسول الله أولُ من يدخل فيها، وكثيرٌ منها نزل فيهم

مثل قول الله تعالى ﴿ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾ [النور: ٣٧].

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

﴿ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ * رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ * فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴾ [آل عمران: ١٩٣ - ١٩٥].

﴿ لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٢]، في هذه الآية بيان فضل الصحابة الذين كانوا من أهل الكتاب وأسلموا كعبد الله بن سلام رضي الله عنه، وفيها وصف الله جميع الصحابة بالإيمان ووعدهم بالأجر العظيم، والله لا يخلف الميعاد

﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ [المائدة: ٥٥، ٥٦]،

﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ * وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ * وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴾ [المائدة: ٨٢ - ٨٤]، في هذه الآيات وصف الله صحابة نبيه بأنهم مؤمنون وشهداء على الناس وصالحون، وأن من يؤمن من أهل الكتاب يسأل الله أن يكتبه معهم، وأن يدخله الجنة معهم.

﴿ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ [الحج: ٧٨].

﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ* يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ * خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٩ - ٢٢]، في هذه الآيات يخبر الله عن الصحابة الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم أنهم أعظم درجة عند الله وأنهم الفائزون، ويبشرهم برحمة منه ورضوان وجنات خالدين فيها أبدا.

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [التوبة: ١٠٥].

﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾ [التوبة: ١٠٧، ١٠٨].

﴿ إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ١١١].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ * مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ * وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة: ١١٩ - ١٢٢].

﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ * الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [النحل: ٤١، ٤٢].

﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ * لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾ [الحج: ٥٨، ٥٩].

﴿ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [النور: ٥٥].

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [النور: ٦٢].

﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ * تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٥ - ١٧].

﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا * مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا * لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا * وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا * وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا * وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢٢ - ٢٧].

﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [الزمر: ١٧، ١٨].

﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ [الزمر: ٢٣].

﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ * لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ * لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الزمر: ٣٣ - ٣٥].

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾ [محمد: ٢].

﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ * وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾ [محمد: ١٦، ١٧]، في الآية الأولى ذم الله المنافقين، ووصف صحابة نبيه الكرام بأنهم أوتوا العلم، وعلمهم هو علم القرآن والسنة الذي تعلموه من النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم علّموه من جاء بعدهم، وحفظ الله بهم دينه، وفي الآية الثانية وعد الله صحابة نبيه وكل من اهتدى بزيادة الهدى والمنّ عليهم بالتقوى.

﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا * لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح: ٤، ٥].

﴿ وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴾ [الفتح: ٢٠].

﴿ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الفتح: ٢٦].

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [الحجرات: ٣].

﴿ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحديد: ٩]، يخاطب الله في هذه الآية الصحابة الكرام بأنه ينزل على عبده محمد صلى الله عليه وآله وسلم آيات القرآن البينات ليخرجهم من الظلمات إلى النور ويبشرهم بأنه بهم رءوف رحيم.

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الصف: ١٠ - ١٣]، أمر الله رسوله في هذه الآيات أن يبشر أصحابه بمغفرة الذنوب ودخول الجنات والنصر في الدنيا على الأعداء، ويبشرهم بالفتح القريب وهو فتح مكة، وقد أنجز الله لهم ما وعدهم في الدنيا، وسيعطيهم ما وعدهم في الآخرة.

﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [الجمعة: ٢ - ٤]، فهم الذين علّمهم رسول الله الإيمان والقرآن والسنة وزكاهم

﴿ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ * يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [المنافقون: ٧، ٨].

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ [الملك: ٢٨، ٢٩].

﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ * وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحشر: ٨- ١٠].

وغير ذلك كثير مما هو من محكمات القرآن في بيان فضل الصحابة وإيمانهم وتقواهم وعلمهم ورضا الله ورسوله عنهم وفرض اتّباعهم بإحسان

وذلك بيّنٌ في أنّ عملهم أحسنُ العمل وتفقهُهم في الدين أحسن الفقه

ولن يتمّ الإيمان بمثل إيمانهم إلا إذا كان على نفس سبيلهم في الفقه والعلم بالكتاب والسنة والعمل بهما

قال ابن القيم رحمه الله : " فالله سبحانه أعلم حيث يجعل رسالاته أصلا وميراثا ؛ فهو أعلم بمن يصلح لتحمل رسالته فيؤديها إلى عباده بالأمانة والنصيحة ، وتعظيم المرسل والقيام بحقه ، والصبر على أوامره والشكر لنعمه ، والتقرب إليه ، ومن لا يصلح لذلك ، وكذلك هو سبحانه أعلم بمن يصلح من الأمم لوراثة رسله والقيام بخلافتهم ، وحمل ما بلغوه عن ربهم " طريق الهجرتين ، ص (١٧١) .

وقال تعالى : (وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلاءِ مَنَّ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ) الأنعام/٥٣ .

قال الشيخ السعدي رحمه الله : " الذين يعرفون النعمة ، ويقرون بها ، ويقومون بما تقتضيه من العمل الصالح ، فيضع فضله ومنته عليهم ، دون من ليس بشاكر . فإن الله تعالى حكيم ، لا يضع فضله ، عند من ليس له أهل . "

وكما جاءت الآيات والأحاديث بفضلهم وعلو منزلتهم ، جاءت أيضا بذكر الأسباب التي استحقوا بها هذه المنازل الرفيعة ، ومن ذلك قوله تعالى :

ومن أعظم ما جاء في فضلهم :ما شهد الله تعالى لهم من إيمان القلوب وصدقها

(لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً) الفتح/١٨

قال ابن كثير رحمه الله في "تفسير القرآن العظيم" (٢٤٣/٤) :

" فعلم ما في قلوبهم : أي : من الصدق والوفاء والسمع والطاعة " انتهى .

وما أحسن ما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : " من كان منكم مستنا فليستن بمن قد مات ؛ فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة ؛ أولئك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا أفضل هذه الأمة ؛ أبرها قلوبا وأعمقها علما وأقلها تكلفا ، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه ، فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم في آثارهم ، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم ، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم " رواه ابن عبد البر في الجامع ، رقم (١٨١٠) .

وقد وعد الله المهاجرين والأنصار بالجنات والنعيم المقيم ، وأحَلَّ عليهم رضوانه في آيات تتلى إلى يوم القيامة .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قا ل رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا تَسُبُّوا أصحَابِي ؛ فَوَالَّذِي نَفسِي بِيَدِهِ لَو أَنَّ أَحَدَكُم أنفَقَ مِثلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أدرَكَ مُدَّ أَحَدِهِم وَلا نَصِيفَهُ) رواه البخاري (٣٦٧٣) ومسلم (٢٥٤٠)

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (خَيرُ النَّاسِ قَرنِي ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُم ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُم) رواه البخاري (٢٦٥٢) ومسلم (٢٥٣٣)

يقول الخطيب البغدادي رحمه الله في "الكفاية" (٤٩) :

" على أنه لو لم يرد من الله عز وجل ورسوله فيهم شيء ، لأوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة ، والجهاد ، والنصرة ، وبذل المهج والأموال ، وقتل الآباء والأولاد ، والمناصحة في الدين ، وقوة الإيمان واليقين ، القطعَ على عدالتهم ، والاعتقاد لنزاهتهم ، وأنهم أفضل من جميع المعدلين والمزكين الذين يجيؤون من بعدهم أبد الآبدين ، هذا مذهب كافة العلماء ، ومن يعتد بقوله من الفقهاء " انتهى .

ومما حسّنه بعض أهل العلم هذا الأثر عن ابن مسعود رضي الله عنه :

" إن الله نظر في قلوب العباد ، فوجد قلب محمد صلى الله عليه وسلم خير قلوب العباد ، فاصطفاه لنفسه ، فابتعثه برسالته ، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد ، فجعلهم وزراء نبيه ، يقاتلون على دينه ، فما رأى المسلمون حسنا فهو عند الله حسن ، وما رأوا سيئا فهو عند الله سيئ " انتهى

رواه أحمد في "المسند" (٣٧٩/١)

قال الإمام ابن تيمية: "للصحابة فهم في القرآن يخفى على أكثر المتأخرين، ومعرفة بأمور من السنة لا يعرفها أكثر المتأخرين" (فتاوى ابن تيمية (١٩/ ٢٠))

فقه الصحابة علما وعملا ونظرا هو الذي ينبغي الاهتداءَ به والصدور عنه والرّدُّ إليه وهو نسقٌ متكامل في (النظر والعلم والبحث والفقه والعمل) وشامل لكل أبواب الدين (الإيمان والأخلاق والأحكام والعمل)

المقصود بفقه الصحابة معنيان رئيسان:

الأول: اتفاقهم وإجماعُهم، وهذا الذي يجب الأخذ به ولا تحل مخالفتُه

قال ابن تيمية رحمه الله : "الإجماع متفَق عليه بين عامة المسلمين من الفقهاء والصوفية وأهل الحديث والكلام وغيرهم في الجملة، وأنكره بعض أهل البدع من المعتزلة والشيعة، لكن المعلوم منه هو ما كان عليه الصحابة ، وأما بعد ذلك فتعذر العلم به غالباً".

وقد دلَّ على اعتباره قوله تعالى: {وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيراً} [سورة النساء:١١٥] في دلائل كثيرة.

فإذا اتفق الصحابة على أمر لا يجوز خلافهم ، وإذا اختلفوا فالناس تبَعٌ لاختلافهم، ولا يجوز الخروج عن أقوالهم.

الثاني: سبيلُهم في النظر والتفقه في الدين والبحث والفهم والاستنباط

سبيل الصحابة في الفقه في الدين أجلّ سبيل

لأنهم أجدر الأمة بالصواب، وأولاها بالحق، وأقربها إلى التوفيق، وكل الأوجه التي يحتملها الكتاب في الفهم، فإن بيان صحابة النبي صلى الله عليه وسلم لها حجة وأمارة على الحق؛ لأنهم حضروا التنزيل، وعلموا من أسبابه ومقاصده ما يجعلهم مُقدمين على غيرهم في الفهم؛ ومن الجمل التي تُذكر في هذا المقام

ونقل ابنُ القيم رحمه الله عن الشافعي في فضل علم الصحابة وفقههم مبيناً لمكانتهم وأهمية لزوم طريقتهم في كتابه إعلام الموقعين، قولَه – رحمه الله -: " علموا ما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم عامّا وخاصّا، وعزمًا وإرشادًا، وعرفوا من سنته ما عرفنا وجهلنا، وهم فوقنا في كل علم واجتهاد، وورع وعقل، وآراؤهم لنا أحمد وأولى بنا من رأينا عند أنفسنا، ومن أدركنا ممن يُرضى، أو حُكيَ لنا عنه ببلدنا صاروا فيما لم يعلموا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيه سنة، إلى قولهم إن اجتمعوا، أو قول بعضهم إن تفرقوا، وهكذا نقول، ولم نخرج عن أقاويلهم، وإن قال أحدهم ولم يخالفه غيره أخذنا بقوله"

وفي ذلك بيان سبيل الصحابة وفقههم وحُجيّته وما كانوا عليه من العلم والهدى وكونهم أولى الناس بالحق، ولا يجوز الخروج عن أقوالهم ولا مخالفة إجماعهم.

ونقل ابنُ تيمية عن الإمام أحمد بن حنبل: " وإنَّ تأويل من تأول القرآن بلا سنة تدل على معنى ما أراد الله منه، أو أثر عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويعرف ذلك بما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم، أو عن أصحابه، فهم شاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم وشهدوا تنزيله، وما قصه الله له في القرآن، وما عني به، وما أراد به أخاصّ هو أم عامّ، فأمّا من تأوله على ظاهره بلا دلالة من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا أحد من الصحابة، فهذا تأويل أهل البدع" (كتاب الإيمان لابن تيمية).

ويؤكد ابنُ القيّم رحمه الله هذا المعنى، وأن علم الشريعة محقق عند الصحابة، والناس تبع لهم في ذلك، فيقول: "كل هؤلاء محجوبون عن معرفة مقادير السلف، وعمق علومهم، وقلة تكلفهم، وكمال بصائرهم، وتالله ما امتاز عنهم المتأخرون إلا بالتكلف والاشتغال بالأطراف التي كانت همة القوم مراعاة أصولها، وضبط قواعدها، وشد معاقدها، وهممهم مشمرة إلى المطالب العالية في كل شيء، فالمتأخرون في شأن، والقوم في شأن آخر، وقد جعل الله لكل شيء قدرًا"(مدارج السالكين).

ومن الكلمات التي تُذكر في هذا المقام:

(ما عليه الصَّحابةُ، ما عَمِل به السَّلَفُ، ما قاله أئمَّةُ الهدى)، ونحوها من العبارات.

والاحتجاجُ بفقه الصحابة وما كانوا عليه من الفَهم للدِّين، كان حاضرا في زمنِ الصّحابة -رضي الله عنهم -، ودعا إليه عددٌ من الصّحابة ومَن بعدهم، وكلَّما ظهر جيلٌ ذكَّر الجيلَ الذي قبلَه.

ذلك قولُ ابنِ مسعود -رضي الله عنه- : ((إنَّ الله نظَرَ في قلوب العباد، فوجد قلبَ محمَّدٍ خيرَ قلوبِ العباد، فبَعَثه برسالته، ثمَّ نظر في قلوبِ العبادِ بعد قلبِ محمَّدٍ، فوجد قلوبَ أصحابه خيرَ قلوبِ العباد، فاختارهم لصُحبةِ نبيِّه ونُصرةِ دينه؛ فما رآه المسلمون حَسَنًا فهو عند الله حَسَنٌ، وما رآه المسلمون قبيحًا فهو عند اللهِ قبيحٌ))
ومن المعلومِ أنَّ ابنَ مسعود -رضي الله عنه- لا يقصِدُ أفرادَ الصَّحابة، وإنَّما يقصِدُ ما كان عليه مجموعُهم إمّا اتِّفاقًا أو سُكوتًا (الإجماع السكوتي)، بدليلِ أنَّ بعضَ الصَّحابة كان يردُّ على بعضٍ، ويخطِّئ بعضُهم بعضًا، وهذا ما قرَّره ابنُ القيِّم؛ فإنَّ ظاهِرَ شَرحِه لوجهِ الدَّلالة من الأثر متعلِّقٌ بالإجماعِ السكوتي.
وقال حذيفةُ بن اليَمان -رضي الله عنه-: ((كلُّ عبادةٍ لم يتعبَّدْها أصحابُ محمَّدٍ -رضي الله عنه- فلا تَعبَّدوها؛ فإنَّ الأوَّلَ لم يدَعْ للآخرِ مَقالًا؛ فاتَّقوا اللهَ يا مَعشرَ القُرَّاءِ، وخذوا بطريقِ من كان قبلَكم)).
ومما يدل على ذلك أن ابن عباس – رضي الله عنهما – وهو أحد فقهاء الصحابة قد أدرك حجية فهم الصحابة واحتج بها على من خالفهم من الخوارج، فقال:" جئتكم من عند أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وليس فيكم منهم أحد، ومن عند ابن عم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وعليهم نزل القرآن وهم أعلم بتأويله"
مما يبيّن أنّ العلم بما عليه الصحابة من الفقه في الدين والهدى كان أمرا حاضرا معلوما ومعمولا به، وليس أمرا مُستحدثا من التابعين لرفض أقوال غيرهم، كما أن الصحابة هم المقصودون بأهل العلم في القرآن ابتداءً، كما في قوله تعالى: {وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ} [سورة سبأ:٦]. قال قتادة: "هم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم".
وهم الذين اصطفى الله بعد الرسل، كما في قوله سبحانه: {قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ} [سورة النمل:٥٩]. قال سفيان: "هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم".
وقد بيّن اللهُ أنهم أهل لكل خير، وأولى الناس بكل صواب، قال تعالى: {إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا} [سورة الفتح:٢٦]. {وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا} من كفار مكة {وَأَهْلَهَا} أي: وكانوا أهلها في علم الله؛ لأن الله تعالى اختار لدينه وصُحبة نبيه أهل الخير {وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا} [سورة الفتح:٢٦]
وقال عمر بن عبد العزيز: ((قِفْ حيث وقف القومُ، وقُلْ كما قالوا، واسكُتْ عمَّا سكتوا؛ فإنَّهم عن عِلمٍ وقَفوا، وببصرٍ نافذٍ كَفُّوا، وهم على كَشفِها كانوا أقوى، وبالفَضلِ لو كان فيها أحرى، فلئِنْ كان الهدى ما أنتم عليه فلقد سبقتُموهم إليه، ولئن قُلتم: حَدَث بعدهم، فما أحدثَه إلَّا مَن سلك غيرَ سبيلِهم ورَغِبَ بنفسه عنهم، وإنَّهم لهُم السّابقونَ، ولقد تكلَّموا منه بما يكفي، ووصفوا منه ما يَشفي، فما دونَهم مَقصَرٌ ولا فوقهم مَحسَرٌ، لقد قصَّرَ عنهم قومٌ فجَفَوا، وطَمَح آخرون عنهم فغلَوا، وإنهم فيما بين ذلك لعلى هدًى مستقيمٍ)).

ويقول الأوزاعي: ((اصبر نفسَك على السّنّة، وقِفْ حيث وقف القومُ، واسلُكْ سبيلَ السّلَفِ الصَّالح؛ فإنَّه يَسَعُك ما وَسعَهم، وقُلْ بما قالوا، وكُفَّ عما كفُّوا، ولو كان هذا خيراً ما خُصِصتم به دون أسلافِكم؛ فإنه لم يُدَّخر عنهم خيرٌ خُبِئَ لكم دونهم؛ لفضلِ عندكم)).

ويقول أبو العالية: ((عليكم بالأمرِ الأوّلِ الذي كانوا عليه قبل أن يفترِقوا)).

ويقول الإمام أحمد: ((أصولُ السّنَّة عندنا: التمسّك بما كان عليه أصحابُ رَسولِ الله -رضي الله عنه-، والاقتداءَ بهم)).

ويلخِّص اللّالَكائي جملةَ ذلك فيقولُ: ((أوجَبُ ما على المرء: مَعرفةُ اعتقاد الدِّينِ، وما كلّف اللهُ به عبادَه مِن فَهمِ توحيده، وصفاته، وتصديقِ رسُله بالدّلائلِ واليقين، والتوصّل إلى طُرُقِها والاستدلال عليها بالحُجَج والبراهين، وكان من أعظمِ مَقولِ، وأوضَح حُجّةٍ ومَعقولِ: كتابُ الله الحقُّ المُبينُ، ثمَّ قولُ رسولِ الله -رضي الله عنه- وصحابتِه الأخيار المتَّقين، ثم ما أجمع عليه السّلَفُ الصّالحون، ثم التمسّكُ بمجموعِها والمُقامُ عليها إلى يوم الدين، ثم الاجتنابُ عن البِدَع والاستماعِ إليها ممَّا أحدثَها المضلُّون)) .

قال الأستاذ سلطان العميري بعد نقله جملةً من هذه الآثار :

((ومعنى هذه الآثار ظاهرٌ بيّنٌ، فالمقصودُ بها أنَّ الفهمَ الصّحيحَ لنصوص الكتاب والسّنَّة: هو الفهمُ الذي كان عليه الصّحابة -رضوانُ الله عليهم- بمجموعهم، وما اتَّبعه عليه التابعون وأتباعُهم، وأنَّ فَهمَهم لا يخالف الكتاب والسُّنَّة، وأنَّ كلَّ فهمٍ للكتاب والسنة يخالف ما كانوا عليه بمجموعهم، فهو فهمٌ خطأٌ لا محالةَ.

وليس المرادُ أنَّ الصّحابة والتّابعين لهم فَهمٌ خاصٌ خارجٌ عن مُقتَضيات الكتاب والسّنّة، وأنَّ هذا الفهمَ مَصدرٌ آخرُ من مصادر الاستدلال، مُستقلٌ عن الكتاب والسّنَّة.

وليس المرادُ أنَّ الفردَ مِن الصَّحابة قولُه حُجَّةٌ مُلزِمةٌ لا يمكِنُ الخروجُ عنها، وأنَّ من خرج عنها وقع في الابتداعِ والضَّلال، والفِسق والانحراف.

وممَّا يدلُّ على أنَّ أئمَّةَ السَّلَف يَقصِدون بذلك الإجماعَ وليس قولَ الأفرادِ: أنَّهم رتَّبوا على مخالفة ما كان عليه الصَّحابةُ الضَّلالَ والتَّفسيقَ، والخروجَ عن السّنَّة إلى الضَّلالِ والانحراف، بل رتَّبوا في بعض المسائِلِ الكُفرَ الأكبرَ.

فهم لا يقصِدون بذلك أفرادَ الصَّحابة والتّابعين؛ لأنَّهم لم يحكُموا على من خالف الأفرادَ منهم بالفِسقِ والضَّلال؛ فالإمامُ أحمد مع أخذِه بقولِ الصَّحابيِّ لم يحكُمْ على كلِّ من خالفه في ذلك بالخروجِ عن السّنَّة، والوُقوعِ في الضَّلالِ والتفرّقِ، كما حكَمَ على من خالفَ إجماعَ الصَّحابةِ في أصولِ الدِّينِ العلميّةِ والعَمَليّةِ.

وممّن استدلَّ بهذه الآثار وغيرها على حُجّيةِ إجماع السّلَف من الصّحابة والتّابعين: ابنُ قدامة؛ فإنَّه حين تحدَّث عن وجوبِ اتّباع السّلَف ذكَر جملةً من النّصوصِ الشّرعيّةِ، وتلك الآثار عن السّلَف، ثم قال: ((فقد ثبت وجوبُ اتّباع السّلَف -رحمةُ الله عليهم- بالكتاب، والسّنّة، والإجماع)) ، ثم استدلَّ على ذلك بالعقل والعبرة.

ثم نقل الأستاذ سلطان أقولا لابن تيمية في المراد ب(فهم السّلف) عنده ، منها : ((فمذهبَ أهل السّنَّة والجماعة: ما دلَّ عليه الكتاب، والسّنَّة، واتَّفق عليه سلَفُ الأمّة)) ، ويقول: ((ومذهبُ أهلِ السّنَّة والجماعة مذهبٌ قديمٌ معروف قبل أن يخلُقَ اللهُ أبا حنيفةَ ومالكًا والشافعيّ وأحمدَ؛ فإنَّه مذهبُ الصّحابة الذين تلقَّوه عن نبيِّهم، ومن خالف ذلك كان مُبتدِعًا عند أهل السَّنَّة والجماعة؛ فإنَّهم مُتَّفِقون على أنَّ إجماعَ الصَّحابة حُجَّةٌ، ومتنازِعون في إجماعِ من بَعدَهم))
ويقول: ((الذي يجبُ على الإنسان اعتقادُه في ذلك وغيرِه: ما دلَّ عليه كتابُ الله، وسُنَّةُ رسوله -رضي الله عنه-، واتَّفق عليه سَلَفُ المؤمنين الذين أثنى الله تعالى عليهم وعلى من اتَّبعهم، وذمَّ مَن اتَّبع غيرَ سبيلهم))
وقال بعد أن ذكَرَ جُملةَ أصول أهل السَّنَّة في العقيدة الواسطيّة، وذكر مصادرَ الاستدلال المعتمَد عندهم، فذكر الكتابَ والسَّنَّة، ثم قال: ((والإجماعُ هو الأصلُ الثَّالثُ الذي يُعتمَدُ عليه في العِلمِ والدين، وهم يَزِنون بهذه الأصولِ الثَّلاثة جميعَ ما عليه النَّاسُ من أقوالٍ وأعمال باطنةٍ أو ظاهرةٍ ممَّا له تعلُّقٌ بالدِّين، والإجماعُ الذي ينضبط هو ما كان عليه السَّلَفُ الصَّالح؛ إذ بَعدَهم كَثُر الاختلافُ وانتشرت الأمّةُ))
فهذا القولُ يفسِّرُ مرادَه بفهم السَّلَف، وأنَّه الإجماعُ، ويُبيِّنُ أنَّه يقصِدُ إجماعَ القرون الثَّلاثة.
ويقول مُصرِّحًا بذلك: ((ولا يجوز لأحدٍ أن يَعدِلَ عمَّا جاء في الكتابِ والسَّنَّة، واتَّفق عليه سلفُ الأمة وأئمَّتُها، إلى ما أحدثَه بعضُ النَّاسِ ممَّا قد يتضمَّنُ خلافَ ذلك، أو يوقِعُ النّاسَ في خلاف ذلك، وليس لأحدٍ أن يضَعَ للنَّاسِ عقيدةً ولا عبادةً من عندِه، بل عليه أن يتَّبِعَ ولا يبتدِعَ، ويقتديَ ولا يبتدئَ))
ويزيدُ الأمرَ و ضوحًا أنَّه طرح على نفسه سُؤالًا حاصِلُه: إذا كان أئمَّةُ السَّلَف (أهل الحديث) لا يتَّفِقون على خلافِ الصَّحابة، فلماذا لم يَذكُر إجماعَهم في أصولِ الفقه؟ وأجاب عنه؛ حيث يقول: ((لم يجتمِعْ قطُّ أهلُ الحديث على خلافِ قولِه في كلمةٍ واحدة، والحقُّ لا يخرُجُ عنهم قطُّ، وكُلُّ ما اجتمعوا عليه فهو ممَّا جاء به الرّسولُ، وكلُّ من خالفهم مِن خارجيٍّ ورافضيٍّ، ومعتزِليٍّ وجهميٍّ وغيرِهم من أهل البدع: فإنما يخالِفُ رسولَ الله -رضي الله عنه-...
فإنْ قيل: فإذا كان الحقُّ لا يخرجُ عن أهل الحديثِ، فلِمَ لم يذكرْ في أصولِ الفِقه أنَّ إجماعهم حُجَّة، وذكر الخلافَ في ذلك، كما تكلَّم على إجماع أهل المدينة وإجماعِ العترة؟
قيل: لأنَّ أهلَ الحديثِ لا يتَّفقون إلَّا على ما جاء عن الله ورسوله، وما هو منقولٌ عن الصَّحابة، فيكونُ الاستدلالُ بالكتاب والسّنَّة وبإجماعِ الصّحابة مُغنيًا عن دعوى إجماع يُنازِعُ في كونه حُجّةً بعضُ النَّاسِ))
وبيَّن ابنُ تيميّة أنَّ إجماعَ السَّلَفِ الملزِمَ يَشملُ ما كان منصوصًا وما كان مُستنبَطًا منهم؛ حيث يقول: ((فما ثبت عنه من السّنَّة فعلينا اتِّباعُه، سواءً قيل: إنَّه في القرآن، ولم نفهمه نحن، أو قيل: ليس في القرآن؛ كما أنَّ ما اتَّفق

عليه السّابقون الأوّلون والذين اتّبعوهم بإحسانٍ، فعلينا أن نتبِعَهم فيه، سواءً قيل: إنَّه كان منصوصًا في السّنَّة ولم يبلُغنا ذلك، أو قيل: إنَّه ممَّا استنبطوه واستخرجوه باجتهادِهم من الكتاب والسَّنَّة))

وبيّن أنَّ أصولَ أهل السّنَّة الاستدلالية ثلاثة؛ حيث يقول: ((فالأصولُ الثَّابتة بالكتاب والسّنَّة والاجماع: هي بمنزلة الدِّين المشترَك بين الأنبياء، ليس لأحدٍ خروجٌ عنها، ومن دخل فيها كان من أهل الاسلام المحضِ، وهم أهل السَّنَّة والجماعة))

فابنُ تيم يّة واضِحٌ جدًّا في تحديد مراده بفَهمِ السَّلَف الذي يعدُّه حُجَّةً مُلزِمةً، وهو الفَهمُ الإجماعيّ بينهم، فهو يكرِّرُ كثيراً أنَّ ما عليه السَّلَفُ بمجموعهم هو مرجعيّةُ أهل السَّنَّة التي يحكُمون من خلالها على المخالفِين لهم: بالضَّلالِ والخروجِ من ال سّنَّة، ولم يجعل قولَ الصَّحابة الفردَ معياراً، ولا أصلًا قائمًا بذاته من أصول أهل السّنَّة!

فإن قيل: ابنُ تيميّة يصرَح بحُجِّية قولِ الخُلفاء وقول الصَّحابي.

قيل: نحن لا نُنكرُ ذلك، وهما مسألتان مختلفتان عند ابن تيميّة في الحقيقةِ وفي الحكم؛ فإنَّ ابنَ تيميّة مع قوله بحُجِّيّة قول الصَّحابي الفرد بشروطٍ وقيودٍ يذكرُها: لا يحكُمُ على من خالفه بالفسق والضَّلال والخروج من السَّنَّة إلى الانحراف، كالتجهُّم، والرَّفض وغيرِهما، وإنَّما يحكُمُ عليه بالخطأِ ومخالفةِ الدَّليل، وأمَّا المخالفُ لفهمِ السَّلَف الإجماعي فإنَّه يحكمُ عليه بالأحكامِ المتعلِّقة بمخالفة الإجماع، وهي كثيرةٌ متعدِّدةٌ... انتهى كلام الأستاذ سلطان العميري .

۞ - **فلابد من جمع ما جاء عن الصحابة الكرام في فقه الكتاب وحديث رسول الله فهو من أهم ما يُعين على فقهه،** وخُذ مثالا :

عن أبي سَعِيدٍ الخُدْرِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَقْسِمُ قِسْمًا، أَتَاهُ ذُو الخُوَيْصِرَةِ، وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اعْدِلْ، فَقَالَ: ((وَيْلَكَ، وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ، قَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ)) . فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لِي فِيهِ فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ؟ فَقَالَ: ((دَعْهُ، فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلاَتَهُ مَعَ صَلاَتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَقْرَءُونَ القُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ ، يُنْظَرُ إِلَى نَصْلِهِ فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى رِصَافِهِ فَمَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى نَضِيِّهِ، - وَهُوَ قِدْحُهُ - ، فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى قُذَذِهِ فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، قَدْ سَبَقَ الفَرْثَ وَالدَّمَ، آيَتُهُمْ رَجُلٌ أَسْوَدُ، إِحْدَى عَضُدَيْهِ مِثْلُ ثَدْ يِ المَرْأَةِ، أَوْ مِثْلُ البَضْعَةِ تَدَرْدَرُ، وَيَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ)) قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: فَأَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ هَذَا الحَدِيثَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَشْهَدُ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ قَاتَلَهُمْ وَأَنَا مَعَهُ، فَأَمَرَ بِذَلِكَ الرَّجُلِ فَالْتُمِسَ فَأُتِيَ بِهِ، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَيْهِ عَلَى نَعْتِ النَّبِيِّ ﷺ الَّذِي نَعَتَهُ) متفق عليه.

فمن يقرأ هذا الحديث قد يخطأ خطأين في فهمه، **أولهما:** أن يحكم على الخوارج بالكفر بموجب قوله: ((يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية....))، **والثاني:** أنه قد يخطأ في معرفة المناط الذي علق عليه الأمر بقتال

الخوارج في قوله ﷺ : ((لَئِنْ أَنَا أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ))، وقد بين الإمام ابن تيمية رحمه الله أن الصحابة لم يكفروا الخوارج، وأن عليًا رضي الله عنه لم يقاتلهم إلا بعد ما بدءوا هم بالقتال.

والأمثلة على ذلك كثيرة: في أن معرفة فقه الصحابة لما جاء في الكتاب والحديث من الأحكام والسنن مقدمة رئيسة لفقهه، ولا يصح أن نبدأ في فقه أي مسألة قبل أن نجمع كل ما ورد في الباب.

- **وهنا أنبه على أمر مهم جدًا يذكر كثيراً في كتب الفقه وأصوله، وغيرها (وهو القول بترتيب الأدلة)** بمعنى أن الباحث أو الفقيه أو الناظر في أي مسألة يريد بحثها ينظر في القرآن مكتفيًا به فإن لم يجد بحث عن المسألة في السنة يقصدون بها الحديث النبوي فإن لم يجد اجتهد رأيه)، وهذا القول ليس صحيحًا وليس دقيقًا وليس واقعيًا بل هو مجرد نظرية لا يمكن تطبيقها في أي حكم من الأحكام فإن الحديث عن النبي ﷺ قولًا أو فعلًا أو صفة أو تقريرًا هو بيان القرآن، فهذه الثنائية بمعنى أن القرآن أولًا ثم السنة خطأ بل الصواب أن الحديث النبوي مكمل ومتمم ومفصل لكلام الله ﷻ، وبسبب هذه الثنائية وقعت إشكالات كثيرة من ذكر تعارض بين الآيات والأحاديث أو ادعاء نسخ ونحو ذلك، ويذكر في ترتيب الأدلة حديث لا يثبت لا من جهة الإسناد ولا من جهة المتن: وهو حديث، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ حِينَ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ فَذَكَرَ: ((كَيْفَ تَقْضِي إِنْ عَرَضَ لَكَ قَضَاءٌ)) قَالَ: أَقْضِي بِكِتَابِ اللَّهِ. قَالَ: ((فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي كِتَابِ اللَّهِ؟)) قَالَ: فَبِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ قَالَ: ((فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي سَنَةِ رَسُولِ اللَّهِ)) قَالَ: أَجْتَهِدُ رَأْيِي وَلَا آلُو. قَالَ: فَضَرَبَ صَدْرِي فَقَالَ: ((الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَفَّقَ رَسُولَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِمَا يُرْضِي رَسُولَهُ))، أخرجه أحمد، وأبو داوود وغيرهما، وهذا الحديث لا يثبته أئمة الحديث، وممن ضعفه البخاري والترمذي، والدارقطني، وابن حزم، وابن طاهر المقدسي، وابن الجوزي، والذهبي، وأبو الفضل العراقي، وابن حجر العسقلاني، وغيرهم من نقاد الحديث.

و الإمام الشافعي رحمه الله لما ذكر مراتب البيان في ((الرسالة)) قال: (فجِمَاع ما أبان الله لخلقه في كتابه، مما تَعَبَّدَهم به، لما مضى من حكمه جل ثناؤه: من وجوه.

فمنها ما أبانه لخلقه نصاً. مثلُ جمُل فرائضه، في أن عليهم صلاةً وزكاةً وحجّا وصوماً وأنه حرّم الفواحش، ما ظهر منها، وما بطن، ونصِّ الزنا والخمر، وأكل الميتة والدم، ولحم الخنزير، وبيّن لهم كيف فَرْضُ الوضوء، مع غير ذلك مما بين نصّا.

ومنه: ما أحكم فرضه بكتابه، وبيّن كيف هو على لسان نبيه؟ مثل عدد الصلاة، والزكاة، ووقتها، وغير ذلك من فرائضه التي أنزل من كتابه.

ومنه: ما سَنَّ رسول الله ﷺ مما ليس لله فيه نصّ حكم، وقد فرض الله في كتابه طاعة رسوله ﷺ، والانتهاء إلى حكمه، فمَن قبل عن رسول الله فبِفَرْضِ الله قَبِل.

ومنه: ما فرض الله على خلقه الاجتهادَ في طلبه، وابتلى طاعتهم في الاجتهاد، كما ابتلى طاعتهم في غيره مما فرض عليهم...) إلى آخر كلامه رحمه الله.

فهو رحمه الله لما ذكر القسم الأول ،فكل ما ذكره فيه كالصلاة والزكاة والصيام والحج ونحوها تم بيانه بما جاء عن النبي الكريم صلى الله عليه وسلم قولا وفعلا و إقرارا ،بل ذكر رحمه الله أنّ البيان لن يتم إلا بالبيان النبوي وضرَب َأمثلة لذلك، وكأنه لم يقصد الاكتفاءَ بنصّ القرآن في تمام بيان الحُكم وإنما قصد أنّ مثل هذا النوع من البيان القرآني ظاهر في بيان الحُكم الذي أراد بيان كفرضِ الصلاة والزكاة والصيام وتحريم الخمر والزنا .. ونحو ذلك ، لكنّ تمام أحكام هذه الأمور جاء في سُنّة النبي صلى الله عليه وسلم .

ففي كل مسألة تُدرَس - بعد حُسْن تصوّر محل البحث - تأتي مرحلةُ (الجمع / جمع كل ما يُمكن أن ينفع في دراسة الباب) و ينبغي أن يُجمع كلُّ ما يتعلق بالباب من الآيات وأسباب النزول والأحاديث النبوية، والآثار الموقوفة، وكيف فقه الصحابة ما جاء من الآيات وما جاء عن النبي ﷺ في تلك المسألة، وفتاوى التابعين والإسرائيليات وكل ما يمكن أن يتعلق بالبحث، ثم تأتي مرحلة : **(النقد والتمييز)** تمييز الثابت من الروايات مما لا يثبت ، ولا يظهر ذلك إلا بالدراسة المقارِنة

وكان الإمام أحمد رحمه الله يعيب على من لا يجمع من الأحاديث إلا المرفوع، ويعلل ذلك: بأنه ربما كان المرسلُ أصحَّ من حيث الإسناد، فيكون حينئذٍ علةً للمتَّصِلِ، فالذي لا يكتبُ المراسيلَ أو الأحاديث المقطوعة أو الإسرائيليات تخفى عليه علل الأحاديث الموصولة.

قال الميموني: (تعجب إلي أبو عبد الله أحمد بن حنبل ممن يكتب الإسناد ويدع المنقطع)، ثم قال: (ربما كان المنقطع أقوى إسنادًا وأكثر، قلت لأبي عبد الله بينه لي؟ كيف يكون ذلك؟ قال: تكتب الإسناد متصلًا وهو ضعيف (يعني ليس محفوظًا)، ويكون المنقطع أقوى إسنادًا منه، وهو يرفعه ثم يسنده، وقد كتبه هو على أنه متصل، وهو يزعم أنه لا يكتب إلا ما جاء عن النبي ﷺ ، قال الميموني: معناه: لو كتب الإسنادين جميعًا عرف المتصلَ من المنقطع، يعني ضعف هذا وقوة هذا...) انتهى.

وقال عبد الله بن المبارك رحمه الله: (إذا أردت أن يصح لك حديث فاضرب بعضه ببعض)، وقال علي بن المديني رحمه الله: (الحديث إذا لم تجمع طرقه لم يتبين خطأه).

وعلى هذا المنهج القيم بنى الإمام مسلم رحمه الله كتابه القيم ((التمييز)) فقال: (فبجمع هذه الروايات ومقابلة بعضها ببعض يتميز صحيحها من سقيمها، ويتبين رواة ضعاف الأخبار من أضدادهم من الحفاظ ((التمييز)) (ص١٣٢).

ففي كل باب نريد فقهه لابد من جمع كل ما ورد فيه وكل ما يمت له بصلة، ثم بعد ذلك تمييز ما ثبت من الأخبار مما لم يثبت وبعدها نبدأ في النظر والفقه لنصل إلى الحكم.

فهنا ثلاثة أمور: أولًا: جمع كل ما يمكن أن يفيد في المسألة (مع معرفة مراتب الأدلة من حيث الحجة).

ثانيًا: تمييز ما ثبت مما لم يثبت. ثالثًا: فقه هذه المُعطيات.

- **ويقع الخطأ في البحث إما بسبب:**

١- القصور في جمع معطيات المسألة في الباب (اجتزاء الأدلة).

٢- عدم التمييز بين ما ثبت وما لم يثبت (الاعتماد على الأحاديث الضعيفة).

٣- الخطأ في فهم هذه المعطيات / النصوص.

من هنا أخي الكريم تعلم الدور العظيم والحاجة لعلم يَفقَه به طالبُ العلم، والباحث:

١- ما هي المصادر التي جمعت الأحاديث والآثار، وما أنواع التصنيف في تدوين الحديث، وما هي مقاصد مُصنّفيها ، وما شروطهم ، وكيف يُبحث فيها.

٢- ما هي المصطلحات التي يستعملها أهل الحديث للتعبير عن حال الراوي والمروي، وما دلالاتها، وما هي القواعد التي يحكم بها على الراوي والمروي، ومن هم النّقاد المعتبرون في هذا الباب، وما هي أهم الكتب التي يذكر فيها الكلام على الرواة والمرويات.

فإن معرفة ما ثبت من الأخبار مما لم يثبت في كل باب هي أول مقدمة مهمة نحتاجها في فقه أي مسألة.

- **فإن الدليل على أي مسالة أو حُكم يُنظر فيه من ثلاث جهات:**

- من حيث (هل يصح الاحتجاج به أم لا).
- من حيث الثبوت.
- من حيث الدلالة.

وقد سبق في محاضرة ((الإسلام لربّ العالمين)) الكلام عن المعاني الإيمانية التي تعلّمها الصحابة فانتفعوا بالقرآن وأحبّ أن أختم الكلام عن سبيل الهدى بمقدّمة الإمام الشافعي في الرسالة

قال الشافعي رحمه الله ((...وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله.

بعثه والناس صنفان:

أحدهما: أهل كتاب بدّلوا من أحكامه، وكفروا بالله، فافتعلوا كذبا صاغوه بألسنتهم، فخلطوه بحق الله الذي أنزل إليهم.

فذكر تبارك وتعالى لنبيه من كفرهم، فقال: { وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب، لتحسبوه من الكتاب، وما هو من الكتاب، ويقولون هو من عند الله، وما هو من عند الله، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون. }

ثم قال: { فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم، ثم يقولون: هذا من عند الله، ليشتروا به ثمنا قليلا، فويل لهم مما كتبت أيديهم، وويل لهم مما يكسبون }.

وقال تبارك وتعالى: { وقالت اليهود: عُزَيرَ ابنُ الله، وقالت النصارى: المسيحَ ابنُ الله. ذلك قولهم بأفواههم. يضاهئون قول الذين كفروا من قبل. قاتلهم الله! أنى يؤفكون؟! اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيحَ ابن مريم. وما أُمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو، سبحانه عما يشركون }

وقال تبارك وتعالى: { ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت، ويقولون للذين كفروا: هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا أولئك الذين لَعَنَهم الله، ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا }

وصنف كفروا بالله، فابتدعوا ما لم يأذن به الله، ونصبوا بأيديهم حجارة وَخُشُبَا، وَصُوَرَا استحسنوا، ونبزوا أسماء افتعلوا، ودعوها آلهة عبدوها، فإذا استحسنوا غير ما عبدوا منها، ألقوه ونصبوا بأيديهم غيره، فعبدوه: فأولئك العرب.

وسلكت طائفة من العجم سبيلهم في هذا، وفي عبادة ما استحسنوا من حوت، ودابة، ونجم، ونار، وغيره.

ف ذكر الله لنبيه جوابا من جواب بعض مَن عبد غيره من هذا الصنف، فحكى جل ثناؤه عنهم قولهم: إنا وجدنا آباءنا على أمة، وإنا على آثارهم مقتدون.

......وقال في جماعتهم، يذكّرهم من نِعَمِه، ويخبرهم ضلالتهم عامة، ومَنَّه على مَن آمن منهم: { واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم، فأصبحتم بنعمته إخوانا، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها. كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون }

قال: فكانوا قبل إنقاذه إياهم بمحمد ﷺ أهلَ كفر في تفرقهم، واجتماعهم. يجمعهم أعظم الأمور: الكفرَ بالله، وابتداع ما لم يأذن به الله. تعالى عما يقولون علوا كبيرا. لا إله غيره، وسبحانه، وبحمده ربّ كل شيء وخالقهُ.

من حيّ منهم فكما وَصَفَ حاله حيا: عاملا قائلا بسخط ربه مزدادا من معصيته.

ومن مات فكما وَصَفَ قولَه وعملَه: صار إلى عذابه.

فلما بلغ الكتاب أجله فَحَقَّ قضاء الله بإظهار دينه الذي اصطفى بعد استعلاء معصيته التي لم يرض: فَتَحَ أبواب سماواته برحمته، كما لم يزل يجري - في سابق علمه عند نزول قضائه في القرون الخالية - قضاؤه.

فإنه تبارك وتعالى يقول: { كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين }

فكان خيرتُهُ المصطفى لو حيه، المنتخبَ لرسالته المفضلُ على جميع خلقه، بفتحِ رحمته، وختمِ نبوته، وأعمَّ ما أرسل به مرسلٌ قبله المرفوعُ ذِكرُهُ مع ذِكرِه في الأولى، والشافعُ المشفَّعُ في الأخرى، أفضلُ خلقه نفسا، وأجمعُهُم لكل خُلُق رَضِيَهُ في دينٍ ودنيا. وخيرُهم نسبا ودارا محمدا عبدَه ورسولَه.

وَعَرَّفَنَا وَخَلَقَهُ نِعَمَهُ الخاصةَ، العامةَ النَّفعِ في الدين والدنيا.

فقال: { لقد جاءكم رسول من أنفسكم، عزيز عليه ما عنتم، حريص عليكم، بالمؤمنين رءوف رحيم }

.....ثم قال رحمه الله ((وأنزل عليه كتابه فقال: { وإنه لكتاب عزيز. لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه.

تنزيل من حكيم حميد } فنقلهم من الكفر والعمى إلى الضياء والهدى، وبيَّن فيه ما أحَلَّ: مَنًّا بالتوسعة على خلقه، وما حَرَّمَ: لما هو أعلم به من حظهم في الكفِّ عنه في الآخرة والأولى. وابتلى طاعتهم بأن تَعَبَّدَهُم بقول، وعمل وإمساك عن محارمَ حَمَاهُمُوها، وأثابهم على طاعته من الخلود في جنته، والنجاة من نقمته: ما عَظُمَت به نعمته جل ثناؤه.

وأعلَمَهُم ما أوجب لأهل طاعته.

ووَعَظَهُم بالأخبار عمن كان قبلهم، ممن كان أكثرَ منهم أموالا وأولادا، وأطولَ أعمارا، وأحمدَ آثارا، فاستمتعوا بخلاقهم في حياة دنياهم، فأذاقهم عند نزول قضائه مناياهم دون آماله، ونزلت بهم عقوبته عند انقضاء آجالهم، ليعتبروا في أنف الأوان، ويتفهموا بِجَلِيَّة التبيان، ويتنبهوا قبل رَين الغفلة، ويعملوا قبل انقطاع المدة حين لا يُعتِب مذنب، ولا تؤخذ فدية، و{ تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا } فكلُّ ما أنزلَ في كتابه جلّ ثناؤه رحمةٌ وحجةٌ

عَلِمه من علمه، وجَهِله من جهله

لا يعلمُ من جهله، ولا يَجهل من عَلِمه.

- والناسُ في العلم طبقاتٌ، موقعُهم من العلم بقدر درجاتهم في العلم به .
- فحق على طلبةِ العلم بلوغُ غايةِ جهدهم في الاستكثار من علمه
- والصبرُ على كل عارضٍ دون طلبه
- وإخلاصُ النية لله في استدراك علمه: نصا واستنباطا
- والرغبةُ إلى الله في العون عليه ،فإنه لا يُدرك خيرٌ إلا بعونه
- فإن من أدرك علم أحكام الله في كتابه نصا واستدلالا

ووفقه الله للقول والعمل بما علمه = فاز بالفضيلة في دينه ودنياه وانتفت عنه الرِّيَب ونوّرت في قلبه الحكمةُ واستوجب في الدين موضع الإمامة .

- فنسأل الله المبتدئ لنا بنعمه قبل استحقاقها المديمها علينا مع تقصيرنا في الاتيان إلى ما أوجب به من شكره بها الجاعلنا في خير أمة أُخرجت للناس= أن يرزقنا فَهما في كتابه، ثم سنة نبيه، وقولا وعملا يؤدي به عنا حقه ويوجب لنا نافلة مزيدة.))

❁ توصيات

- العناية ببرنامج تعلم القرآن (تلاوة وفقها وتفسيرا وتدبرا وتخلّقا)

أعظمُ قرارٍ وُفِّقْتُ فأخذتُه:

طلبُ القرآن الكريم : تلاوةً وعلما وتدبّرا وحِفظًا ومجاهدةً للوقوف على حدوده

((ولم يشغلني في طلبه إلا أن ألقى اللهَ طالبا له مُجتهدا في إرادته ، وآخذَ بأسبابه:

سواء كنتُ في الأساس طالبَ علمٍ شرعي أو لا

سواء كنتُ حسنَ الصوت به أو لا

ختمتُه حِفظًا أوْ لا

أدركتُه أو لم أدركْه

صِرْتُ من المَهرةِ به، أو بقيتُ فيه أتتعتعُ..

حسبي أن أبقى طالبا له.. فقط هذا ما أُريد وأطلبُ))

ومن يومِها وأنا أجني بركاتِ هذا القرار، وآثارَه وثمارَه في شأني كُلِّه.

وأعيشُ في طريق تعلُّمه فرحًا و راحةً وبهجةً وغنًى وطمأنينة تعجزُ الكلماتُ أن تفِي بعُشر معشارها!

لا يمُرّ عليّ يومٌ معه إلا وأزدادُ يقينًا بأنه تنزيلٌ من حكيمٍ عليمٍ مُتعال بَرّ قدوسٌ...وأشكره سبحانه على توفيقه

وكلما ذُقتُ فرحتَه و حلاوتَه ووجدتُ أثرَه :أتحسّرَ على عشرين عاما مضتْ من عمري لم أكن أطلب فيها كتاب الله، بل لم أكن أتلوه إلا نادرا ..

ولكن قدّر الله وما شاء فعل.. وكلُّ شيء عنده بمقدار وأجل.

ولا يتحسرَ العاقلُ على ما فات إلا ليجعل ذلك وقودًا مُحرّكًا للاستدراك والتعويض..

و اللهُ سبحانه يبارك في قليل ما بقي من العمر

ولا قوةَ إلا بك...

وأقولُ لكلّ من أخّر طلب القرآن :

إذا أراد الله بك خيرا وطلبتَه يومًا ما ستبقى نادما تتحسّر على ما فرّطتَ

أمّا إذا مُتَ وأنت لم تطلبْه فقد - والله- حُرمتَ فردَوسَ الدنيا!

كما أقولُ لمن حصر علاقته به في مجرد حفظ حروفه أو الاستدلال به : أنت كشخص أمامه بحرٌ كبيرٌ فيه أنفسُ الجواهر والكنوز والتّحف فاكتفى منه بجرعة ماء!

اللهم ربَّنا أسعدِنا بكتابِك، وعلمنا إيّاه ويَسِّره لنا

ولا ارى طالبَ علمٍ أو أي مسلم يريد العلم عن الله ودينه

وهو مشغول عن القرآن

إلا وأشفِق عليه

وكُلُّ من أجّلَّ طلب القرآن وانشغل عنه آملا أن يأتي يوم يتفرّغ له ..لم يأت يومُه بعد ولن ياتي....لأنه لا يأتي من نفسه فهو عزيزٌ عزيزٌ، لا يَطلُبُ بل يُطلَب!

أقولُ في نفسي: قد يأتي يوم عليه يتحسّر على أيام قضاها بأكملها فيما لا ينفعه في دينه ولا دُنياه، وهو نفسُه يغلبه الكسل أو الهوى فيصرفه عن شفاء الصدور / القرآن

وأقول : قد يتحسرَ يوما، قد! ولكن بعد ألا يبقى فيه جسد ولا قلب ينهض به ليحيا بالقرآن

وإنما هو تحسّرَ من أيقن عدمَ القدرة على التعويض..وهي أعظمُ حسرة!

وأنا هنا لا أقصد بالقرآن مجرد حفظ حروف القرآن فهذا آخر ما يُطلبَ من القرآن

وإنما قصدت تعلّمَ القرآن بقصصه وأخباره وأحكامه وتدبره والتخلّق به ومواجهة الحياة به

وقد أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم ((فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا))

ذلك سلاحُك

ودَّ الشيطان لو تغفُل عنه فتبقى بغير سلاح

وحينها ستواجه كل شيء بلا نور، بلا بصيرة، بلا هدى

تواجهه بضعفك، وجهلك، وأمراض قلبك، وأهواء نفسك

وقد أنزله الله ليكون لك كشّافًا ومُعلما وهاديا وأخبرك أن نجاتك فيه

فانصرفتَ عنه

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواما ويضع آخرين)

فاللهم ارفعنا به

برنامج الحديث النبوي:

- - منزلة النبي صلى الله عليه وسلم من الإسلام
- - حديث رسول الله هو بيان القرآن
- - منزلة السنة النبوية
- - الاعتناء بعلوم السّنة النبوية، برنامج:
- - القراءة
- - الشرح
- - علوم الحديث النبوي

العناية: بقراءة آثار الصحابة

العناية: بتراث الأئمة المحققين

وسيأتي لاحقا إن شاء الله تفاصيل أكثر حول تفعيل هذه الوصايا